الصداقة في تصور أرسطو الأخلاقي

د/ محمود السيد مراد*

مقدمة

لاشك أن الصداقة قيمة إنسانية رفيعة لها تأثيرها العظيم على جوانب الحياة الإنسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على السواء . ولكن رغم كونها كذلك فقد اختلف حول حقيقة وجودها المفكرون والأدباء اختلافاً كبيراً طيلة العصور القديمة والحديثة على السواء، بل حتى الذين سلموا لها بالوجود الواقعي اختلفوا بشدة حول قيمتها وفائدتها. حقا نحن لا ننكر أن الصداقة قد حظيت باهتمام كبير من جانب عدد لا بأس به من هؤلاء المفكرين، إلا أنهم اختلفوا بشدة حول وجودها والقيمة العائدة منها على صاحبها وفقا لطبيعة ونوعية الرؤى الفكرية التي اعتنقها هذا الفيلسوف أو ذاك: فمن كان ذا نزعة أخلاقية متفائلة تؤمن بخيرية الفطرة الإنسانية نراه معلياً من قيمة الصداقة رافعاً من قدرها ، بل وبلغ الغلو بالبعض منهم مبلغاً جعله يضعها في مكانة أعلى من مكانة العدالة نفسها كما سوف يفعل أرسطو مثلا . في حين أن من كان ذا نزعة أخلاقية متشائمة تؤمن بأن الإنسان شرير بطبعه نراه منقصًا من قدر الصداقة، إن لم يكن منكراً أصلا لوجودها. وبلغ التطرف بالبعض منهم حداً جعله يعتبر وجود الصداقة ثالث المستحيلات في هذه الحياة .

أما من اختلفوا حول قيمة الصداقة فقد ذهب "جون استيورات ميل" في العصر الحديث إلي الشك في فائدتها، واعتبرها عبئاً أكثر منه دعما وقال مقولته الشهيرة "احميني يارب من أصدقائي ، أما أعدائي فأنا كفيل بهم " في حين أعلى أرسطو من قيمة الصداقة حتى جعلها فضيلة تفوق العدالة مكانة وقدراً. وبين المتحمس الغيور والمنكر العنيد مرت الصداقة بتاريخ فكري طويل من الخلاف والجدل .

ينصب بحثنا على الدراسة الفلسفية العميقة التي قدمها أرسطو لفضيلة الصداقة في مؤلفاته . ويسعى اعتماداً على المنهج التحليلي المقارن أن يجيب على التساؤلات التي تدور بذهن أي قارئ معاصر يشغل تفكيره موضوع الصداقة. والتي منها : ما طبيعة الصداقة؟ ما علاقة الصداقة بكل من العدالة والسعادة ؟ هل الصداقة مكون أساس من مكونات السعادة البشرية ؟ ما هي الدوافع التي تقف وراء تكوين الصداقات؟ هل هناك أنواع للصداقة ؟ هل نحتاج إلي الأصدقاء وقت الشدة أم في الرخاء ؟ كيف يستطيع البشر أن يعتنوا ويحرصوا على مصالح الآخرين من أجل هؤلاء وحدهم ، وفي الوقت نفسه لا يهملون مصالحهم هم الشخصية ؟ وماذا لو تعارض الاثنان ؟ هل تقوم الصداقة على تضحية حقيقية بالمصلحة الذاتية دائماً ؟ وأخيراً : إلي أي حد يمكن للصداقة أن تشبع الحنين الدائم إلي مجتمع عادل مع الأخرين من البشر، الحنين الذي فشلت الحياة السياسية على مر العصور في تحقيقه تحقيقاً كاملاً؟؟

لقد شغلت كل هذه الأسئلة عقل أرسطو، كما آلمته الظروف القاسية التي كان يمر

* أستاذ الفلسفة اليونانية المساعد بآداب سوهاج

بها معاصروه من احباط اجتماعي ونفسي وحروب دامية وطغيان سياسي، وفقدان للاستقلال والحرية في ظل أطماع المقدونيين التوسعية . اعتمل كل هذا في عقله فقدم نظريته حول الصداقة مخصصاً لها خمس مساحة مؤلفاته الأخلاقية . وفي اعتقادنا أن ما عايشه أرسطو من أحداث قاسية في يونان القرن الرابع ق.م ، والمرارة التي كان يحسها من منظر البؤس والاضطراب الاجتماعي والسياسي من حوله ، كل هذا دفعه للاهتمام بالصداقة. وقر في ضميره أنها الكفيلة وحدها ــ وليس العدالة ــ بعلاج هذه الأوبئة، ودحر أشكال الظلم والقسوة .

وهناك دوافع عديدة دفعتني بدوري إلي دراسة هذا الموضوع عند أرسطو على وجه الخصوص أولها : أن هذا الموضوع لا تزال له أهميته العظيمة في عصرنا لتشابه الظروف الدموية بينه وعصر أرسطو ، إنني اشعر بأهمية كبيرة لهذه القيمة النبيلة في الحياة الإنسانية عامة وظروف عصرنا نحن الحالية القاسية بصفة خاصة . فما أحوجنا نحن في هذا العصر المليء بالصراعات السياسية والاجتماعية والمادية والعقائدية للعودة إلي فضيلة الصداقة ، فهي ــ في تصوري ــ كفيلة بتضميد الجراح ، ووأد الصراعات الدامية في مهدها التي تعصف بالسلام الإنساني ، وتجعل الإنسان عدواً وقاتلاً لأخيه وأمه وأبيه وصاحبته التي تأويه . إن الحاجة إلي الصداقة الطاهرة من الغرضية نراها ملحة في عصرنا بنفس درجة إلحاحها في زمن أرسطو وربما أكثر. والدافع الثاني ما لمسناه من أهمية كبيرة للتصور الذي طرحه أرسطو للصداقة في تاريخ الفلسفة اليونانية خاصة وتاريخ الفلسفة بوجه عام . وكان الدافع الثالث أن هذا الموضوع في فكر أرسطو لم يحظ بدراسة عربية كاملة ومستقلة تليق بأهميته العظيمة التي أولاها له في فكره. حقا نحن لا ننكر أن بعض الدراسات أشارت إليه لكنها كانت مجرد اشارات سريعة لا تتعدى صفحة أو صفحتين على الأكثر في معرض الحديث عن فلسفة أرسطو الأخلاقية بوجه عام، وهي إشارات لا نراها كافية ولا تليق بهذه الفضيلة.

سادت اليونان القديمة نزعة مناصرة للصداقة مناصرة قوية ، فقد جعلها الشعراء والفلاسفة على السواء محوراً للحكايات والتأملات الفلسفية، يتغنون بنبلها وأهميتها السامية ، رابطون بينها وبين الشجاعة وروح التحرر. لقد انحدرت إلينا الحكايات الرائعة حول حالات نادرة المثال من الصداقة : مثل صداقة هرقل ولولاوس Lolaus وأخيلوس وصديقه بتروكليس. ولعل أروع مثال يوضح أهمية هذا النظام من وجهة النظر السياسية والحربية ما يروى عن الفرقة الطيبية The Thebean Band المكونة من أفراد يرتبط كل منهم بعلاقة الحب وكانوا يحاربون معا ، وفي موقعة "خيرونيا" Chaeronea كان تعليق فيليب عليهم عندما استعرض القتلى ورأى الثلاثمائة قد قتلوا جميعا عبارته المشهورة "لعن الله من ظن أن في إمكان هؤلاء عمل أي شيء مشين."[1] أما التراث الفلسفي اليوناني في الصداقة فكان تراثاً طويلاً ممتدا من أنبادوقليس الذي اعتبر المحبة إحدى القوتين الكونيتين المسيطرتين على الكون أجمع ، مروراً بأفلاطون الذي وضع محاورة كاملة حول الصداقة وهي محاورة "ليسيس" Lysis وقلده في ذلك شيشرون ، في حين كتب بلوتارخوس وثيوفراستوس تلميذ أرسطو وخليفته رسائل في الصداقة . أما أبيقور فقد كرس الكثير من حياته لغرس

فضيلة الصداقة بين تلاميذه ، وعدها واحدة من خيرات الحياة الأساسية ، وأورد هو وسينكا تصوراتهما المعلية من قيمة الصداقة في رسائل مرسلة إلي أصدقائهما.[٢]

ولكن ما إن حلت العصور الوسطى المسيحية إلا وظهرت نزعة قوية معادية للصداقة رغم أن المسيحية نفسها ــ وهذا هو وجه العجب ــ ديانة المحبة . لقد تم في ظل المسيحية وضعُ مفهوم "أجابا"Agaba محل "فيليا" اللفظة اليونانية القديمة ، والذي حول الحب من حب الإنسان لأخيه إلي حب الإنسان للإله. وفي العالم الإسلامي ظهر من جديد الاهتمام الكبير بالصداقة كفضيلة سامية ، فقد اعتبر الإسلام جميع المسلمين أخوة ، وشبههم في توادهم وتراحمهم بالجسد الواحد . وأولى الأدباء والمفكرون المسلمون اهتماماً عظيماً بها ، ونلمح في طيات الكتب العربية المعنية تأثراً واضحاً بفكر أرسطو ؛ فلقد كتب أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) كتاباً كاملاً في الصداقة بعنوان "الصداقة والصديق" وكتب مثله أبو حسن الماوردي (٤٥٠هـ) كتاباً بعنوان "أدب الدنيا والدين". وكتب ابن مسكويه(٤٢١هـ) فصلاً عنها في كتابه(تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف) اتبع فيه نفس تصنيف أرسطو لأنواع الصداقة .[٣]

أما في مطلع العصور الحديثة فقد عادت النظرة اليونانية المشرقة التي تعلي من شأن الصداقة عادت إلي الإشراق من جديد في القرنيين السادس والسابع عشر ، فقد كتب كلا من مايكل دي مونتياني Michel De Montaigne وفرنسيس بيكون[٤] مقالات في مدح الصداقة تحمل أثراً قوياً من العصور اليونانية ، وأكدا على أن الصداقة هي العلاقة الإنسانية الأعظم سمواً، وليس الحب العائلي أو العلاقة الغرامية.[٤] غير أنه سرعان ما إنطفأت هذه النقطة المضيئة في القرون الأربعة التي أعقبت ذلك ؛ إذ اختفت الصداقة بوصفها موضوعاً للبحث الفلسفي وكان "توماس هوبز" السبب وراء هذا التراجع إذ فسر الطبيعة البشرية باعتبارها غير ميالة إلي الصداقة ، ولا إلي الفضيلة ، وأن الإنسان كائن انعزالي بطبعه.[٥] ولاتزال هذه النزعة المادية المتطرفة التي تعتبر المصلحة الفردية أساس معظم العلاقات الحياتية لاتزال تلقي بظلال كثيفة على رجال عصرنا الحالي ومفكريه على حد سواء . ومن ثم انزوى من بيننا تقدير الصداقة واحترام الأصدقاء من أجل ذواتهم. وكم زكت البرجماتية والوضعية المنطقية هذه النزعة في النفوس . لذلك نادراً ما نجد لدى مفكرينا المعاصرين الاهتمام الكبير بالصداقة الذي نجده لدى القدماء. ولا شك أنه تقف وراء ذلك أسباب عديدة : إذ بالاضافة إلي سيطرة الاتجاه المادي النفعي على عصرنا ، نجد أن مفكرينا لم يعودوا ينظرون إلي الصداقة النظرة الأرسطية القديمة من أنها كمال لما هو بالقوة في الإنسان بوصفه موجود عاقل ، بل ينظرون إليها نظرتهم إلي الفلسفة نفسها بأنها مسألة متروكة للتذوق الفردي ، وليس على أنها جزء لا يتجزأ من الحياة الطبيعة المثلية.[٦] ومن ناحية أخرى ينظر فلاسفة الأخلاق المحدثون إلي الصداقة في شكلها الأصلي على أنها مجرد علاقة فردية يتم دخولها بشكل طوعي ، في حين أن فلسفة الأخلاق الحقة تتناول الطرق التي من الواجب على البشر أن ينظروا من خلالها أحدهم إلي الآخر، ويسلكون بناءً عليها ، ولا تتناول شئونهم الخاصة، وبالتالي فلا يجب أن يُخصص للصداقة مكاناً بارزاً في فلسفة الأخلاق.[٧]

أولاً: اهتمام أرسطو بالصداقة ودوافعه

إذا اتجهنا شطر أرسطو وجدناه يخصص الكتابين الثامن والتاسع من جملة عشرة كتب تؤلف مؤلفه "الأخلاق النيقوماخية" لمعالجة الصداقة أي بمعدل الخمس، وهو نفس المعدل تقريباً الذي أفرده لها في كتابه المتأخر في الزمن المسمي "الأخلاق اليوديمية" حيث خصص لها منه الكتاب السابع. ومن ثم فأرسطو اختص الصداقة بمساحة أكبر بكثير من تلك التي اختص بها أي فضيلة أخرى. ولم يكتف بذلك بل حرص على تصوير الصداقة على أنها الجسر الذي يربط بين الفضائل الأخلاقية الأخرى من جهة، وبين حياة التأمل الفلسفي السامية من جهة أخرى.[٨] جاء عرض أرسطو متميزاً بالرقة السيكولوجية والبراعة التحليلية بشكل غير مألوف في مؤلفاته الأخرى ــ على حد قول "جون كوبر" ــ بل إن آراء أرسطو حول موضوعات أخلاقية كالفضيلة ، تطور الشخصية، اللذة ... الخ لايمكن أن تُفهم فهماً كاملاً ، ولا أن تقدر التقدير الصحيح لها إلا عندما نأخذ في الاعتبار نظريته في الصداقة"[٩] واعتبر "بارتلمي سانتهلير" أن الكتابين المخصصين للصداقة أجمل ما كتبه أرسطو ، وأشده تأثيراً في النفوس ، فقد استوعب هذا الموضوع الواسع من جميع جهاته بحذق وسعة نظر لايكادان يتركان بعده تعقيباً لمعقب أو زيادة لمستزيد.[١٠] ويلاحظ المتأمل لما كتبه أرسطو أن معالجته للصداقه تشكل ــ مثلها في ذلك مثل الكثير من معالجاته لموضوعات أخرى ــ تقدماً عظيماً عما قيل عن هذا الموضوع بواسطة أسلافه ، ومن ثم قدر لها أن تعمل كنوع من وجهة النظر المرجعية للعمل المستقبلي. لذلك فإن شطراً كبيراً من التصورات التالية حول الصداقة في العالم الغربي من الممكن أن تُفهم إما على أنه مبني أو ملحق إضافي لآراء أرسطو ، أو على أنه رد فعل طُرح ضدها.[١١]

فإذا عن لنا أن نسأل عن الروافد التي من الممكن أن يكون أرسطو قد استقى منها نظريته عن الصداقة فسوف نجدها عديدة. فهي بلاشك خبرة أرسطو الشخصية في حياته العملية ، وكذلك العلاقات المتينة التي كانت تربط بينه وبين شخصيات عظيمة معاصرة مثل : أفلاطون أستاذه لمدة عشرين عاماً تقريباً ، وبوديموس وهيرمياس والإسكندر وثيوفراستوس. وأيضا اقوال الشعراء والفلاسفة السابقين عليه حول الصداقة تلك التي هضمها أرسطو في عقله ثم قام بتمثلها في مذهبه وأخيراً أستاذه أفلاطون في محاورة"ليسيس"Lysis . ودين أرسطو لأفلاطون في هذا المجال دين واضح ولامجال إلي إنكاره ، فهناك العديد من أوجه التشابه بين المحاورة وبين ما كتبه أرسطو عن الصداقة رغم أن أرسطو لم يذكر المحاورة بالاسم الصريح قط. الأمر الذي دفع "جوليا آناس" إلي اعتبار عرض أرسطو هذا أعظم أهمية لدراسة ردود أفعاله على أفلاطون ، حيث يمكننا أن نرى كفاح أرسطو لحل مشكلات واجهت أفلاطون حول الطبيعة الإيثارية للصداقة.[١٢]

لقد انطلقت معالجة أرسطو للصداقة من المشكلة التي واجهت أستاذه ؛ حيث يقيم أفلاطون الصداقة على "الحاجة" مع أن اقامتها بهذا الشكل تجعل أي ربط بينها وبين الفضيلة مشكلة مؤرقة، وهذا ما شعر به أرسطو وسعى إلي حله، ومن هنا ونظراً للتأثير الكبير للمحاورة الأفلاطونية على معالجة أرسطو انتهت "بانجلي" إلي القول بأن قراءة مناقشة أرسطو للصداقة بمعزل عن محاورة "ليسيس" سوف تكون قراءة ناقصة

ومضللة.[١٣] ولكن ورغم هذا التأثير الأفلاطوني الكبير إلا أن هناك فارقاً كبيراً بين الفيلسوفين ؛ فأرسطو عالج الصداقة ــ كما سوف نرى ــ معالجة واقعية شديدة الاختلاف عن معالجة أفلاطون المثالية .[١٤] في حين أشار "ثيودروس جومبرتس"[١٥] إلي رافد أخر ويتمثل في اعجاب أرسطو الشديد بالأخوة العقلية التي لا شك أنه سمع عنها في المدرسة الفيثاغورية ، وقدر له هو نفسه أن يعايشها فيما بعد على مدى عشرين عاماً في أكاديمية أفلاطون معايشة شخصية . لقد قضى أرسطو الشطر الأكبر من حياته عضواً في جماعتين تربط أواصر المحبة بين أعضاءهما وهما الأكاديمية واللقيوم. وكانت هاتان الجماعتان تضمان في عضويتهما الكثير من فئات المجتمع اليوناني من الشباب والشيوخ ، ويسود الدفء والود بين أفرادها . ولاشك أن كل هذا تفاعل في عقل أرسطو فدفعه إلي تقديم نظريته تعبيراً عما كان يحسه نحوها من انبهار وتقدير .

وإذا كانت مناقشة الصداقة جاءت في موضع متأخر من "الأخلاق النيقوماخية" بعد الانتهاء من عرض الموضوعات الرئسية كالفضائل والسعادة ، فإن هذا قد كان مقصوداً من أرسطو في رأي "ديفيد فووس"D. Foss فقد تعمد أرسطو أن تكون دراسته للصداقة نوعا من العرض التطبيقي للموضوعات التي عرضها فيما سلف من الكتاب عرضاً نظرياً ، قصد أن يرينا عمله السابق موضوعاً موضع التطبيق لموضوعات قريبة إلي قلوبنا.[١٦] واعتبر أن هذا هو الوضع الأفضل لمعالجة الصداقة، بل هو في الواقع الوضع الوحيد المناسب لها على حد تعبير "ثيودروس جومبرتس" فالصداقة في هذا الموضع تأتي أقرب ما تكون إلي شيء متمم للفضائل، ورابطة تربط الفضائل النظرية بتلك العملية.[١٧] ووافقه ايضا في ذلك "جون بيرنت" القائل "إن الصداقة عند أرسطو تمثل الاستعمال الإيثاري للمعنى العملي للخير ، وتمهيداً للطريق للحب العقلي للإله ، وعبور الفجوة بين الحكمة العملية النظرية.[١٨] فإذا كان أرسطو يهتم بالصداقة كل هذا الاهتمام ، فهذا يجعلنا نتسأل عن الدوافع التي دفعته إلي تكريس خمس مؤلفاته الأخلاقية لبحثها ؟؟

لاشك أنه قد كانت هناك دوافع نفسية وعقلية تقف وراء ذلك. وتمثلت الدوافع النفسية في حالة الإحباط التي كانت تسيطر على نفس أرسطو نتيجة لما كان يعايشه من مآسي وآلام في الحياة من حوله، لقد شعر أن الحياة التي توفرها دولة المدينة في عصره حياة لا تؤهل لاكتساب الفضائل وتنميتها لأنها مليئة بأشكال الصراع والتكالب المادي ، فوجد أن المخرج المضمون من هذا الوضع السيء هو في العودة إلي حياة الأخوة والصداقة البريئة التي عاشها أرسطو نفسه من قبل في أكاديمية أستاذه.

أما الدوافع العقلية فكانت كثيرة ؛ إذ كان عقل أرسطو يبحث دائما عن مقومات الحياة الكاملة ــ الحياة القادرة على تحقيق السعادة . ويمثل كتابه "الأخلاق النيقوماخية" إجابته على ما ينبغي أن تكون عليه هذه الحياة . الأمر الذي قاد أرسطو إلي هذا التقدير العظيم للصداقة؛ لأن الإنسان لن يبلغ الحياة الفاضلة بدونها في نظر أرسطو كما سوف نرى ، فلا يمكن تخيل أن تخلو الحياة الفاضلة السعيدة من الأصدقاء.[١٩] ومن هذه الدوافع أيضا أن أرسطو وجد معاصريه ــ والسابقين عليه أيضا ــ يسيئون فهم الصداقة وينظرون إليها نظرة غير لائقة ويسمونها بأنها تقوم

على الأنانية، فأراد أن يصحح هذه النظرة، ويكشف عن حقيقة الصداقة ، ذاهباً إلي أن الصداقة نوع من النشاط الذي يقوي من فضائل المرء الفردية ، بل وتصرف انتباهه بعيداً عن الذات، وتركزه على الخير العام وسعادة الأخرين.[٢٠] وهناك دافع عقلي أخر فقد وجد فيها خير برهان على صدق نظريته في وجود علاقة وثيقة للسياسة بالأخلاق، وإلا ففي أي موضع آخر غير الصداقة يتم ابراز الطبيعة السياسية والاجتماعية الجوهرية للحيوان البشري ؟؟ ترينا معالجة الصداقة حتما كيف تهتم كل من الأخلاق والسياسة بالحياة الإنسانية نفسها.[٢١]وهنا نتسأل عن المفهوم الذي كان في ذهن أرسطو عن الصداقة ؟؟

ثانياً: مفهوم الصداقة

أود في البداية الأشارة إلي أن كلمة "فيليا" φιλια التي نترجمها عادة بالصداقة كانت تحمل لدى الإغريق ــ خاصة أرسطو ــ معنى أوسع بكثير من المعنى الذي نحصرها فيه اليوم، فبينما نقصرها على تلك العلاقات الحميمة التي تربط بين أفراد لا يكونون مرتبطين معا بروابط عائلية أو تجارية ، بل علاقات طوعية. حيث كان معناها يغطي كل أنواع العلاقات البشرية : من علاقات الترابط وأواصر التوافق . فهي تشمل جميع الروابط العائلية (الأبوة والأمومة ، الأخوة ، العلاقة الزوجية) وكذلك الصداقات المدنية Civic Friendships والعلاقات التجارية ، وعلاقات العضوية العامة في الجمعيات العامة والدينية والاجتماعية والسياسية.[٢٢] الأمر الذي دفع "ديفيد روس" إلي التأكيد على أن الكلمة كانت تعبر عن أي تجاذب متبادل بين موجودين بشريين .[٢٣]

لكن إذا كان للفيليا عند الإغريق في عصر أرسطو هذا المعنى الواسع ، فإن الشيء الملاحظ أنه قد تم في هذا المعنى تجاهل الدلالة الكوزمولوجية القديمة التي كان يعزوها إليه بعض الطبيعيين الأوائل وعلى رأسهم أنبادوقليس ، تلك الدلالة التي يسقطها أرسطو تماما ــ كما يقول جثري ــ قاصراً مناقشته الشخصية على العلاقات الإنسانية وحدها .[٢٤]كما تم أيضا تجاهل العلاقة الغرامية بين الذكور التي جعلنا أفلاطون استاذه على ألفة معها عند اليونان . لقد اسقط ارسطو اسقاطاً تاما هذه العلاقة متاثراً في ذلك بالكلبيين معتبراً أن حب الأطفال عاطفة غير طبيعية وبهيمية ضاماً إياها إلي زمرة أشكال الشذوذ البذيئة الأخرى ، كما أنها تخلو من اي لمسة مثالية ورومانسية .[٢٥] يبدأ أرسطو دراسته للصداقة في مستهل الكتاب الثامن بالتأكيد على علو قيمتها حيث شدد على أنها فضيلة أو على الأقل تتضمن الفضيلة .[٢٦] وهي ليست فحسب شيئا جوهرياً في حياتنا بل ونبيل أيضا، ولولا ذلك ما مدحنا هؤلاء الذين يحبون أصدقائهم، ولما اعتقدنا أنه شيء طيب أن يكون لدى المرء العديد من الأصدقاء، بل ونعتقد أن الأخيار من الناس والأصدقاء فئة واحدة .[٢٧]وقال في مؤلف بعيد عن فلسفة الأخلاق "فإذا كنا لا نحترم الثروة لذاتها، بل نعزها من أجل شيء أخر، فإن الصداقة على العكس من ذلك تُحترم لذاتها، لأنها قيمة في ذاتها وغاية."[٢٨]

فإذا كانت الصداقة بهذه القيمة فماذا كان يقصد أرسطو بمعناها ؟؟ الواقع أن مفهوم الصداقة عند أرسطو يغطي مساحة أوسع من تلك التي يغطيها تصور أستاذه؛ إذ يدخل أرسطو أنواعاً كثيرة من الصداقات في مفهومه لم يكن ليوافق أفلاطون عليها أبداً .[٢٩] ففي الخطابة قدم تعريفاً لها قال فيه " إنها العاطفة الودودة التي يبديها الإنسان نحو

آخر من أجل هذا الآخر وليس من أجل أي شيء آخر ، وأن يبذل في نفس الوقت ما في وسعه لتحقيق ذلك."[٣٠] في الأخلاق اليوديمية قال " يُعتقد في الرجل أنه صديق ذلك الذي يتمنى الخير لشخص ما ، أو يتمنى له ما ياخذه على أنه الخير ليس من أجل مصلحته هو الشخصية ، وانما من أجل مصلحة هذا الأخر وحدها."[٣١] وأكد على نفس المعنى تقريباً في الأخلاق النيقوماخية قائلاً " ينبغي على الناس لكي يغدو أصدقاء أن يعرفوا جميعاً وبشكل مشترك أن كل واحد منهم يحمل تعاطفاً وأمنية طيبة للآخر."[٣٢] وفي موضع أخر من نفس الكتاب أضاف أن الصديق يتمنى لصديقه أن يحيا من أجل ذاته، ذلك التمنى الذي تتمناه الأمهات لأطفالهن.[٣٣] في حين وصف الصديق بصفات منها: ١- إنه الذي يحب الخير ويفعله في ذات الوقت من أجل صديقه سواء أكان هذا تظاهراً أم حقاً .٢- وهوالذي يتمنى لصديقه أن يحيا من أجل ذات هذا الصديق و ٣- الذي يعاشر الأخر لذاته و ٤- يحمل نفس المشاعر التي لدى الآخر و٥- يشارك صديقه في المسرات والأحزان . ولا يعتبر أرسطو هذه الصفات خاصة بالصديق وحده، بل وتعرف بها الصداقة أيضا.[٣٤]

ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن الصداقة لكي تقوم بين طرفين ينبغي أن تتوفر فيهما عدة عناصر أساسية وهي ١- النية الطيبة في تمني الخير للأخر من أجل هذا الأخر أي (التعاطف) ٢- الاخلاص في العمل ، أي السعي والعمل الطوعي على مساعدة الأخر للوصول إلي هذا الخير. ٣- المعاشرة الحسنة البرينة . ٤- مشاركة الأخر مشاركة وجدانية في أحزانه ومسراته . ٥- يحمل نفس أفكار وأحاسيس الأخر . ٦- التعهد والذي يتم تجسيده في مسالة اتاحة الأولوية للأصدقاء في مقررات الموارد والدور في الاحسان والرعاية . ٧- معرفة وادراك هذه المشاعر المتبادلة فيما بينهما معرفة مشتركة ، وهو ما يُعرف ب"التبادلية " وقصد أرسطو به "حب متبادل ومحسوس به من كلا الطرفين"[٣٥] ويقول أيضا " لا تنشأ الصداقة إلا عندما يكون هناك تبادل للعاطفة "[٣٦] ويفصل أرسطو الصداقة الكاملة التي ينطبق عليها الاسم انطباقاً تاماً عن الصداقات الناقصة وفقا لمعيار توافر هذه العناصر في العلاقة أو غيابها، أو حتى غياب بعضها، فلا تعتبر صداقة حقيقية كاملة الا عند توافرها كلها.

وعناصر الصداقة الأساسية السابق ذكرها هي في حقيقة الأمر صورة لعناصر علاقة الإنسان الفاضل بنفسه ، فكلها مستمدة من علاقتنا بأنفسنا طالما أننا جميعا نعتقد أننا أخيار . فالرجل الفاضل نراه ذا هدف واحد يستقطب كل جهده، ويتمنى الخير ويفعله من أجل ذاته ، ويتمنى لنفسه أن تعيش طالما أن الوجود بالنسبة له شيئاً طيباً وممتعاً ، ولن يود أن يغير من مبدأ ولو بكنوز العالم ، وهو مستمتع بالعيش مع نفسه.[٣٧] وترى "جوليا آناس" أن برهان ارسطو السابق يرتكز على اساسين : ١- أن الرجل الفاضل إنسان ثابت على مبدئه ، ومن ثم يلزم أن يجد الصداقة مع الآخر مناسبة. ٢- أنه يتمنى ما يكون خيراً لنفسه ومن أجل ذاته الخاصة ، ولما كان الوجود يبدو شيئاً خيراً له فسوف يختار الحياة لنفسه ، في حين لن يختار أن يمتلك العالم أجمع إذا كان يتعين عليه في مقابل ذلك أن يغدو شخصاً أخر غير ذاته.[٣٨] وعلى ذلك لما كانت سمات الصداقة توجد بين الرجل الفاضل ونفسه فإنه يقيم صداقة مع نفسه تماثل علاقته بصديقه ، وهؤلاء الذين يحوزون هذه السمات يكونون أصدقاء

لامحالة .[٣٩] لذلك يضيف أرسطو الاثنين معا (صداقة الأخر وصداقة المرء لنفسه) في قوله " إن الرجل الذي يتمنى من أجل الشخص الأخر الشيء الذي يتمناه لنفسه يكون صديقاً بالمعنى الحقيقي للكلمة."[٤٠] وتشبيه أرسطو السابق للصداقة بحب الذات تشبيه واعي وذلك لأنه قصد منه اثبات أن هذا الذي يكون أساسيا في عملية تعهدنا بذواتنا هو في ذات الوقت سمة الصداقة الحقة ، كل ما يوجد من فرق هنا هو أن الموضوع يقع الآن خارجنا، فحب الذات تعهد ومراعاة ولكنه ليس فيه تبادلية.[٤١]

ويحتاج كل عنصر من عناصر الصداقة السابق ذكره إلي تعليق منا ، ولنبدأ بمسألة تمنى الخير للصديق من أجل ذاته ، حيث يؤكد أرسطو على ضرورة أن يتمنى الأصدقاء الخير لأصدقائهم من أجل ذواتهم وحدها ، ولكن لا يمكن أن يتمنوا الخير الأسمى لهم بأن يصبحوا آلهة لأن أصدقائهم في هذه الحالة لن يعدوا أصدقاءً بعد، وبالتالي لن يتمنى له الطرف الآخر إلا أعظم الخيرات بوصفه إنسان . بل وربما لن يتمنى له الخيرات الأسمى كلها بلا استثناء مادام كل واحد منا يتمنى دائما الخير لنفسه هو قبل كل شيء أخر كما.[٤٢] ويشتم "ثيودروس جومبرتس" في كلام أرسطو السابق رائحة التحسر على ما آلت إليه علاقته الشخصية بالأسكندر ، فمن المحتم أن هذه المشكلة التي يطرحها أرسطو هنا قد نشأت من علاقة الفيلسوف بتلميذه الإسكندر الذي تم تأليهه فانقطعت هذه العلاقة حتما.[٤٣] أما عنصر "التعهد" فمن الممكن أن يكون عميقاً مثلما الحال في صداقات الفضيلة، أو سطحياً كما هو الحال في الصداقات القائمة على المنفعة ، ومن الممكن أن يكون دائماً أو مؤقتاً ، قائما على اختيار مدروس مثلما الحال مع الناضجين ، ومن الممكن أن ينشأ من علاقة غير متعمدة كما في العلاقات العائلية.[٤٤] ولكن يجب ألا يخل ذلك التعهد بالواجبات التي تفرضها العدالة والفضائل الأخرى من الالتزام بالنزاهة .[٤٥] فعلى سبيل المثال سوف يكون من الخطا ــ كما يقول أرسطو ــ أن نساعد صديقاً على أن نرد جمائل واجبة الرد للأخرين ، أو أن نمنحه قرضاً ولا نسدد ديناً في رقبتنا، مالم تكن مساعدة الصديق أمراً ملحاً بشكل قاتل.[٤٦] ويبرز هذا التعهد في محاباة الصديق حتى في عملية الأسف على ارتكاب الأخطاء ؛ يقول " يصبح الخطأ عظيماً عندما يكون في حق هؤلاء الذين يكونون أصدقاء لنا."[٤٧]

ننتقل إلي عنصر "المعاشرة الطويلة" فنجد أنها تعنى المشاركة في تاريخ واحد وخبرات مشتركة ، فتصبح أنصبة الصديق أنصبة لنا إذ يغدو ذاتاً ثانية لنا ، ويتم الاحساس بمتعه وآلامه وكأنها متعا وآلاماً لنا . ويكرر أرسطو مراراً أن الأصدقاء الحقيقين يشاركون في نفس واحدة.[٤٨] ومن هنا يأتي تفرد الأصدقاء وعدم قابليتهم للتبديل.[٤٩] يقول أرسطو "لن تكون صداقة راسخة بلا ثقة ، ولن تتأتي الثقة إلا مع الوقت ، ويتطلب هذا حد ا اجراء اختبار للشخص ومن ثم فعنصر الزمن غاية في الأهمية للصداقة ، لأن الصداقة الحقة لا تتكون بسرعة أبداً، إن هؤلاء الذين يصبحون أصدقاء بلا عشرة طويلة ممتدة عبر الزمن ليسوا أصدقاء حقيقين ، بل يتمنوا فقط أن يكونوا كذلك."[٥٠] لذلك كان المعيار الحقيقي للصداقة عند أرسطو قضاء وقت طويل في المعاشرة ، ومن ثم تأتي الاختبارات التي تشكل الصداقة دالة على أن حياتين قابلتين لأن تمتزجا معا ليؤلفا نهجاً متناغماً من العيش السعيد.[٥١] فلن يترسخ احساس الإنسان بأن صديقه صورة مشابهة له من خلال المعرفة العابرة ، بل من خلال الأنشطة

المشتركة والتي تستغرق وقتاً وتقوي من عملية الثقة . إن العيش المشترك يعني عند أرسطو الاشتراك في كل أنشطة الحياة. إنهما يفكران ويدرسان معا ، باختصار إنهما يشتركان في نشاط وحياة واحدة.[٥٢] أما عنصر الاتفاق في المشاعر "التوافق" فنجد أرسطو يؤكد في "الأخلاق اليوديمية"[٥٣] على ضرورة أن يتفق الأصدقاء في مشاعرهم وما يتصل بحياتهم المشتركة ؛ إنه اتفاق في التفكير والرغبة ، أي في الفضيلة . وإن كان أرسطو لا يشدد على ضرورة أن يكون الاتفاق في الأشياء جميعا ويترك مساحة لتفرد واستقلالية شخصية كل صديق . وقصد بالعيش المشترك حياة مشتركة ولكن ليس في منزل واحد.[٥٤] بل الاشتراك في الأحاديث والأفعال والتفكير . ومن الممكن للاستمتاعات المشتركة هذه أن تمتد من الأشياء العادية إلي أعظمها ألوهية ، ولكن مجرد الأكل أو الشرب أو الوجود في مكان واحد جنباً إلي جنب دون الاشتراك في حديث متبادل ، أو فعل وإنفعال ــ مثلما نرى الأمر بين الحيونات في القطيع ــ فلايؤدي إلي قيام صداقة حقة.[٥٥] وتسمي "تانسي شيرمان" هذا الاتفاق في المشاعر بين الأصدقاء "توحد الفكر" أو الاتفاق الجماعي ، ويتحقق عندما يكون هناك اختيار متماثل للأمور العملية وكيفية عيش حياة مشتركة ، وأي نوع تكون عليه هذه الحياة . ويختار الأصدقاء هنا مشروعاً مشتركاً للسعادة ، ويتعهدون به ، ويشرعون في التعبير عن هذا التعهد المشترك من خلال القرارات المشتركة.[٥٦] ومن الممكن أن يتخذ هذا الاتفاق بين الأصدقاء العديد من الأشكال : فمن خلاله من الممكن أن يتفق الصديقان على قرار واحد حول الكيفية التي يعاملان بها شخصاً أخر أخطأ في حقهما معاملة عادلة وشريفة ، أو حول أفضل السبل لمساعدة رفيق في ظروف صعبة . إنه اتفاق على الغايات والمساعي العامة للحياة، ولما كان هذا القرار قراراً مشتركاً فإن المسئولية عنه تكون مشتركة أيضا.[٥٧]

والعنصر التالي في الصداقة هو وجود وعي متبادل وواضح لدى الأصدقاء بهذا التعاطف المشترك يقول " لايخفق الأصدقاء في ملاحظة عملية تبادل العطف والمشاعر الطيبة"[٥٨] فلا يشبه الأصدقاء محسنين متباعدين مشتركين في نوع ما من أنواع المقايضة ، والذي قد يكون مقايضة متعادلة ومتبادلة ، لأنه هاهنا سوف يغيب التفاعل المتبادل بشكل مقصود ومدرك . كما أنهما لايماثلون معجبين متباعدين يتبادلون النظرات بطريقة شكلية ، إن للوعي المتبادل أهمية جوهرية حيث يرى المرء نفسه في صديقه تماما مثلما يرى المرء نفسه على سطح المرآة ، هنا تتكرر المبادلة وتتعمق من خلال المعاشرة والتعارف المشترك.[٥٩] أما عنصر المشاركة الوجدانية فقصد أرسطو به المشاركة في حياة عاطفية مشتركة ، فالصديقان بوصفهما فاضلين يعبران عن فضيلتهما ليس تعبيراً بسيطا في الفعل والممارسة ، بل في مجال أوسع من مجرد المشاعر المتبادلة ، إذ لديهما اجماع وجداني قوي في المشاعر وتذوق مشترك للأشياء . إن هذه المشاركة لا يعبر عنها بالواقعة القائلة إنك كصديق تظن أن مشاعر معينة تكون ملائمة أن يرد بها صديقك، وإنما يعبر عنها في واقعة أنك تغدو مشاركاً مشاركة وجدانية في فرح أو حزن أو قلق صديقك. إن هذا في جوهره تقمص عاطفي ، فكما أنك تشاركه الأنشطة تشاركه أيضا المشاعر والانفعالات، إنه احساس بالتوحد.[٦٠] يقول "يتمنى الصديق أكثر من أي شيء أخر ألا يشعر فحسب بالألم عندما يتألم

صديقه ، وإنما أن يشعر بنفس نوع الألم الذي يحس به صديقه ، فعندما يكون صديقه عطشاً يشاركه في عطشه هذا إن كان هذا ممكناً ، أو يشعر بأعظم الأشياء قرباً من ذلك."[٦١] ويطلق أرسطو على هذه المشاركة التقمصية وصف "التوحد في العقل" Singleness of Mind وما يهم فيه هو أن يوصل صديقي لي الشعور بأن سروري أو حزني يهمه هو بطريقة مماثلة لي أنا أيضا . ويتطلب هذا كما تقول نانسي شيرمان رغبة باطنية في تكريس الانتباه نحو التفاصيل الدقيقة لتجارب الآخر.[٦٢]

وإذا كان أرسطو ينظر إلي الصداقة كفضيلة وقيمة ، والفضيلة كما يعرفها وسط بين طرفين كلاهما رذيلة ، فما هو الوسط الذي تمثله الصداقة ؟ يبين أرسطو أن الصداقة حد بين خلقين كلاهما رذيلة ، إنها وسط بين المسايرة والمداهنة من جانب وبين الشراسة في الجانب الأخر. فالصديق هو الشخص الذي يعرف كيف يكون مقبولاً من الأخرين كما ينبغي ، أما الشخص الذي يبالغ في الأسي مع الأخرين فهو المتملق ، وعلى الضد الشخص الذي لايبالي بالقبول من الأخرين فهو الشرس.[٦٣] لايحبذ أرسطو سوى الوسط ، ويعلل رأيه هذا بالواقع المشاهد من حوله وهو أننا أكثر استعداداً لقبول الشخص الذي ينتمي إلي هذا الوضع كصديق لنا . ولكن أرسطو لايجعل الرغبة في اكتساب قبول الأخرين مرادفة للصداقة مرادفة كاملة ، ودليله على ذلك أن بعض الناس يرغبون في أن يكونوا مقبولين ولكن دون أن يشعروا بأي عاطفة نحوهم . فهم يفعلون ما يجب أن يفعلوه مع من يعرفونهم ومن لا يعرفونهم ليس لحب أو لبغض ، ولكن لحرصهم على أن تكون تعاملاتهم مع الأخرين كما ينبغي أن تكون المعاملة.[٦٤] ولايشبه حبي لصديقي حبي لأي شيء من الجمادات فقد أحب الخمر ولكن من المضحك أن أتمنى الخير للخمر، أما بالنسبة للصديق فنحن نقول ينبغي أن يتمنى المرء له الخير من أجل ذاته وحدها.[٦٥] فلا ينبغي أن يعامل الأصدقاء كمجرد أشياء ملحقة بالذات.[٦٦]

إذن قصد أرسطو بالصداقة عطفاً متبادلاً بين إثنين يريد كل منهما الخير للأخر من أجل ذاته وليس من أجل المصلحة الشخصية له، ويحرص الاثنان على هذا ، كما أن كل واحد منهما يعرف أن الأخر يحمل له هذا الشعور. لذلك لم يكن أرسطو مبالغاً عندما اعتبر الصديق "ذاتاً ثانية" لنا ولكنه لم يكن بيد من وراء ذلك القول بالذوبان التام لذات الصديق في ذات صديقه فهذا في رأيه ليس صداقة بل امتلاك . إن الصداقة الأرسطية ــ كما تقول نانسي شيرمان ــ تتطلب أن نفيد الأخر بوصفه طرفاً منفصلاً عنا من أجل ذاته. هناك قدر من الاستقلالية بين الأصدقاء رغم كل ما بينهما من تفاهم.[٦٧] إنهما صديقان لأنهما قادران على أن يعيشا في علاقة الواحد منهما بالأخر بشكل لايجعل أحدهما عبداً ذليلاً للأخر . يسهم الصديق في تحقيق مصالح صديقه بطريقة معينة مثل: اتاحة الواحد منهما للأخر أعظم الفرص المؤاتية للاختيار، توفير اعظم الأساليب نجاحاً في بلوغ الغايات ، توفير المساندة العاطفية ..الخ ولكن دون التقليل من استقلاليته وتفرده . إنهما يشتركان في الفضيلة كغاية عامة لهما ، ولكنهما يعبران عن ذلك بطرق مستقلة في أوقات مختلفة وإن تكن متكاملة .[٦٨] إن الأصدقاء ينبغي أن يُعاملوا كغايات في ذاتهم ، وليس فقط ــ ولو مؤقتا ــ كوسائل لغايات أبعد مثل الرقي الاجتماعي أو الاصلاح المشترك . ينبغي لكل واحد منهما أن تكون له حياته

ووجهة نظره الخاصة التي يوليها الاهتمام ، ولايهم إلي أي حد تتشابه هذه الحياة ووجهة النظر مع حياة الأخر ووجهة نظره أو تختلف . ويجدان متعة في اجتماعهما معاً بشكل أساسي لكونهما الأشخاص الذين هم كذلك.[٦٩] حقا يتشابه الأصدقاء تشابهاً قوياً في الكثير من الجوانب ، حتى أن فضائل الصديق مرآة تُري فيها منعكسة فضائل أصدقائه ، وتتقوى في لها . ولكن ما يجعل هذا ذا قيمة عند الأصدقاء هو ادراك الحقيقة القائلة أن كل واحد منهم جزء في هذه الصداقة بوصفه شخصاً متميزاً وفريداً، والاستمتاع بادراك هذه الحقيقة.[٧٠] يقول أرسطو "صديقنا الحق هو ذات ثانية لنا ولكن وبشكل متساوي ذات منفصلة."[٧١]

إذا كانت الصداقة عطفاً متبادلاً بين اثنين كل واحد منهما يتمنى الخير للأخر من أجل هذا الأخر ، فإن السؤالين اللذين يفرضان أنفسهما الآن هما : ماذا يعني حب الخير لشخص أخر من أجل ذاته ؟ وإذا كانت الصداقة تمثل تعاطفاً متبادلاً فما الفرق بينها وبين النية الطيبة(التعاطف) ؟

لنبدأ باجابة السؤال الأول : إنه يُنظر إلي المرء على أنه محبوب بشكل غير مصلحي عندما يكون محبوباً لما هو عليه من فضائل تمثل شيئاً جوهرياً فيه وفقا لمعايير موضوعية تحدد الجدارة الإنسانية . ومن ثم ينبغي على الأقل أن يكون هذا المرء محبوباً كغاية في ذاته ، ولديه الصفات المطلوبة لكي يكون صديقاً وفياً ، أي يُحب لما لديه من صفات جوهرية في ذاته.[٧٢] لذلك عندما تسأل أرسطو بينه و بين نفسه هل الأصدقاء قابلين للاستبدال كانت اجابته بالنفي . إذ لما كانوا ليسوا في الأساس وسيلة لتحقيق غايات الواحد منهم للأخر فلا يمكن أن يُستبدلوا بوسائل أخرى أكثر فاعلية مثلا. لكن هناك من يرى تناقضاً بين تعريف أرسطو للصداقة بأنها "حب شخص ما لأجل ذاته" وبين التفسير الذي قدمه لها بأنها تعني حبه لما لديه من صفات جوهرية في نفسه ؛ فهذا المعنى يتناقض مع كلمة "لذاته" ، فحبي لشخص ما من أجل هذه الصفات رغم معقوليته سوف يغدو متعارضاً مع حبه لذاته.[٧٣]وكان حل أرسطو لهذا التعارض أن قام بالفصل بين أنواع ثلاثة للصداقة وأكد على أن صداقة الفضيلة هي وحدها التي يكون فيها عنصر"حب شخص من أجل ذاته" قائماً حقاً . فعندما تتوفر الفضيلة في صديقين معا عندها يمكن أن يقوم حب الآخر من لذاته يقول "الصداقة الكاملة هي الصداقة التي تقوم بين أناس أخيار ومتشابهين في الفضيلة ، وذلك لأنهم سوف يتمنون لهذه الأسباب الخير الواحد منهم للأخر بوصفه كذلك ، وهم أخيار في أنفسهم."[٧٤] ويقول أيضا "أما عندما يفيد شخص أخر ليس بسبب نوعية الشخصية التي يكونها ، وإنما بسبب المنافع العائدة عليه من ورائه فإنه لايكون في الحقيقة صديقاً لهذا الشخص ، وإنما صديقاً للمنفعة التي تعود عليه عن طريقه."[٧٥] وهناك حل أخر اضافه من عنده "بيرس" تمثل في البديهية القائلة إن الحالة التي يكون المرء عليها تمثل جزءاً لايتجزأ من الشخصية التي يكون عليها ، وشخصية المرء جزء من ماهيته فلا تعارض بين الصفات الجوهرية للذات والذات نفسها ، لأن الذات هي الشخصية متحققة في الاختيارات والرغبات.[٧٦]

أما اجابة السؤال الثاني فإن الذي يميز الصداقة عن النية الطيبة هو وجود عنصر التبادلية ، ويعني أن فيها يكون كل طرف من الصديقين يعرف ويفطن إلي أن الطرف

الآخر يبادله حبا بحب . وإن كان أرسطو يقرر صراحة أن الصداقة تكمن أكثر في منح الحب عنه في تلقيه.[٧٧] يقول" إن العطف حالة شعورية وقتية في حين أن الصداقة وضع ثابت في النفس ، لأنها تنم عن اختيار نابع من وضع راسخ في الشخصية، حيث يتمنى البشر الخير لأولئك الذين يحبونهم من أجل ذواته، ولايكون هذا نتيجة لميل عارض في العاطفة."[٧٨]. ونظراً لغياب هذه التبادلية لايدخل أرسطو في مفهومه للصداقة مسألة حب الأشياء غير الحية ، وذلك لأننا عندما نتخذ شيئاً جماداً كوسيلة لايمكن أن نأمل من وراء ذلك أن نتبادل العاطفة والحب معه ، فلا يكون الحب هنا متبادلا ، وكذلك لايوجد تمنى للخير للآخر من أجل ذاته . وهذا اخلال بعناصر أساسية في الصداقة .[٧٩]

بناءً على ذلك أكد أرسطو على أن "النية الطيبة" مكون من مكونات الصداقة ، ولكنها ليست الصداقة، وذلك لأنه من الممكن أن يحمل امرئ نية طيبة نحو أناس لاتوجد بينه وبينهم معرفة ، أو معاشرة طويلة ، ولامشاركة وجدانية مع أن هذه من عناصر الصداقة الأساسية ، كأن نحمل نية طيبة نحو أحد المتنافسين في مباراة رياضية ، ونتمنى له الفوز من كل قلبنا .. ولكن هذا لايكون صداقة بالمعنى الكامل.[٨٠] ويبدو أن أرسطو يسلم هنا ــ كما يقول جون كوبر ــ بالفكرة الرئيسة الواردة في تعريفه للصداقة في كتابه "الخطابة" بأن الصداقة تمني متبادل للخير نابع من اهتمام الواحد منهما بالأخر ، حيث يجعل ذلك سمة مميزة للصداقات من أي نوع بأن الصديق يتمنى الخير لصديقه من أجل ذات هذا الصديق وحدها.[٨١] ما يبدو هو أن "النية الطيبة" تمثل فاتحة للصداقة كما يقول أرسطو نفسه تماما مثلما تكون لذة العين فاتحة للحب ، ولكن ليس كل ما تلذه العين يحبه الإنسان ، وكذلك ليس كل ما يحمل الإنسان له ــ مرة عابرة ــ نية طيبة يصبح صديقاً له بالضرورة . كما أن التعاطف من الممكن أن يكون لأسباب نفعية كأن يحمل المرء نية طيبة لأخر لأجل منفعة سوف يجنيها من ورائه لو فاز .. إن الشخصين اللذين يحب الواحد منهما الأخر دون أن يعرفا ذلك ليسا صديقين ، بل مجرد شخصين لدى كل منهما تعاطفاً نحو الأخر.[٨٢] باختصار تمثل النية الطيبة صداقة ولكن بالقوة ، وهي تصبح صداقة بالفعل عندما تستمر لوقت طويل ، وتصل إلي نقطة العادة المتأصلة.[٨٣] كما تزيد الصداقة عن مجرد الاتفاق في الرأي أو التوافق في المسائل المنظورة، حيث تغيب هنا الحميمية والعشرة الودودة التي تميز الصداقة.[٨٤] يقول " الاتفاق في الرأي ليس هو الوفاق ، لأنه من الممكن أن يقع حتى مع أناس لايعرف الواحد منهم الأخر ، فلا نقول إن أناساً لديهم آراء متشابهة حول موضوع ما أن بينهم صداقة."[٨٥]

لأجل ذلك كله فإن الصداقة الحقة لايمكن أن تقوم إلا بين الأخيار الذين تتم هذه الصداقة سعادتهم بتوسيع وعيهم بالحياة.[٨٦] أما الأشرار فلايمكن أن يكونوا أصدقاء لأنهم يقدمون النقيض التام لشروط الصداقة ، فهم على تنافر مع أنفسهم ، تتصادم شهواتهم مع أمنياتهم الأكثر عقلانية.. إنهم لكونه عارين من السمات المحبوبة لايشعرون بالحب نحو أنفسهم ، ولاهم يكونون متوحدين مع أنفسهم في مسراتهم أو أحزانهم ، فنفوسهم ممزقة.[٨٧] يقول " أما بالنسبة للأشرار من البشر فلايمكن أن يقوم وفاق بينهم اللهم إلا لفترة قصيرة جداً ، لأنهم يرغبون في الحصول على حظ من

المنافع يفوق القدر الذين يسهمون به في العمل ، وكل واحد منهم لايتمنى الخير إلا لنفسه ، فيتجسس على جاره ، ويسد الطريق عليه ليفوز لنفسه بكل خير ، ويجير غيره على مراعاة العدل دون أن يريد هو نفسه تطبيق العدل على نفسه."[٨٨] ويتفق أرسطو في ذلك مع أستاذه أفلاطون الذي أكد في "ليسيس" أن الأشرار لكونهم على خصام مع أنفسهم دائماً لا يمكن أن يكونوا على توافق مع أي شخص أخر كذلك ، فلا يمكن أن يصيروا أصدقاء لأحد طالما أن الصداقة تتطلب أن يكونوا محبين لشخص أخر وهم انفعالين ومتقلبين ، وفي خصام مع أنفسهم."[٨٩] وينتهي أرسطو إلي القول بأنه لما كان الأشرار يملؤهم دائما الندم على ما يفعلون ، فلا يبدو أن الشرير مستعد لأن يحب حتى ولو ذاته ، لأنه لايوجد فيه شيء قابل لأن يُحب . ومن ثم يجب علينا أن نبذل أقصى ما لدينا لاجتناب الرذيلة وبلوغ الفضيلة ، لأنه من خلال هذا الطريق وحده من الممكن أن يغدو المرء صديقاً لنفسه ، وصديقاً للأخرين.[٩٠] أما احتمالية أن تقوم صداقة بين انسان فاضل وأخر شرير فهذا ما يسلم به أرسطو ، وإن كان يرى أنها صداقة هشة ؛ فالشرير يكون ذا نفع للفاضل فيما يتعلق باختيار هذا الأخير اللحظي ، والفاضل يكون ذا نفع للشرير فيما يخص اختياره الطبيعي ، طالما أنهما يتشابهان في الإنسانية ، ولدى الجميع قدر من الخيرية الفطرية يكفي لأن تكون لديهم بعض الاختيارات المشتركة في الحياة .[٩١]

يتمثل المعنى الذي يأخذ به ارسطو الصداقة إذن ــ كما يقول كوبر ــ في فكرة فعل الخير لشخص ما من أجل ذاته وحدها ، أي انطلاقاً من الاهتمام الخالص به ، وليس (أو وليس فقط) انطلاقاً من الاهتمام بمصلحة الفاعل الشخصية.[٩٢] وحب شخص من أجل ذاته معناه أنني احبه لنوعية الشخصية التي يكون عليها ، أي بوصفه المختار لها ، وحبه لكونه المختار لها يعني التوحد مع اختياراته ، أو ما أسماه أرسطو "الاختيار المتبادل"[٩٣] ويشرح "بيرس" ذلك بقوله : إنه سعي إلي نفعه قبل كل شيء من خلال اختياراته هذه ، فهو يدين في اختياراته هذه إلي حياة التعاون ؛ يدين لها في كلا من أسلوب الحياة الذي تشيده هذه الاختيارات ، والتفكير العملي الذي منه تنتج هذه الاختيارات ، وفي النتيجة يبرز نشاطه هذا سعادتي الشخصية التي نشترك فيها معا ، وكذلك واقعة أننا نشارك فيها ، إنني أجد في نشاطه هذا سعادتي الشخصية إلي حد ما.[٩٤] إنني اقدر جوانب السمو المضروب بها المثل بواسطة هذا الشخص ، ومن ثم فلكي احب الأخر حباً حقيقياً ينبغي قبل كل شيء التوحد معه في الفعل من خلال جعل أفعاله وأفعالي تحقيقات فعلية للاختيارات التي أشارك فيها معه، ولاينطبق هذا إلا على هؤلاء الذين يكونون أخياراً بشكل حقيقي وليس متظاهرين بالصلاح.[٩٥] إنها الرغبة المتبادلة في الخير وفي تقديمه لدى طرفين انطلاقاً من اهتمام كل واحد منهما بالآخر .

وهنا يطرح أرسطو على نفسه سؤلاً هاماً وهو : هل من الممكن أن يتخذ المرء له أصدقاء كثيرين؟؟ وتأتي اجابته بالنفي . فليس من الممكن في رأيه أن يكون المرء صديقاً لعدد كبير من الناس بالمعني الكامل للصداقة تماما مثلما ليس ممكناً أن يحب المرء أناساً كثيرين في آن واحد والأسباب : أنه ليس من السهل أن يحظى عدد كبير من الناس باعجاب شخصي لامرئ دفعة واحدة وفي نفس الوقت ، علاوة على أن المرء ينبغي أن يختبر صداقة الآخر ، ويغدو على وفاق معه وهذا جد عسير مع عدد

كبير من الناس.[٩٦] كما أنه ليس ممكناً الاشتراك في حياة مشتركة مع عدد كبير من الناس ، أو أن تنقسم ذات المرء إلي أجزاء تشملهم جميعا . كما أن أصدقائي بدورهم ينبغي أن يكون لكل واحد منهم أصدقاء بدورهم . فضلا عن أن كثرة الأصدقاء يؤدي إلي التشتت في الفكر حيث يتعين على المرء أن يفرح مع واحد منهم ويحزن مع أخر في ذات الوقت . وأخيرا فإن انتشار الصداقة انتشاراً واسعاً أمر غير مريح ، والصواب النظر إلي صديق كل الناس على أنه ليس صديقاً لأحد.[٩٧] فلم يرض أرسطو عن مفهوم "ديوتيما" للحب الوارد في مادبة افلاطون والذي يتحول الحب فيه من حب شخص مفرد إلي حب أعظم نبلاً للصفات الكلية والدائمة لهذا الفرد بصورتها التي توجد لدى الأخرين من الناس ، وكذلك صورتها غير الشخصية ، وذلك لأنه تغيب عن هذا المفهوم سمات التفرد والخصوصية والمرجعية إلي الذات وهي سمات سيكولوجية اساسية في الصداقة .[٩٨] فأنا احب صديقي وابني لأنه خاص بي ، ملك لي ، ومن ثم تكون العلاقة راسخة، وعندما تصبح العلاقة شديدة العمومية فإن المودة القائمة تغدو مائعة.[٩٩] وفي موضع أخر يقول " إن كثرة الأصدقاء لايكون رأيا ملائما حتى فيما يخص الأصدقاء الذين يجتمعون من أجل المنفعة ؛ وذلك لأن تقديم خدمات لعدد كبير من الناس رداً على ما يقدمونه لى عمل مرهق ، وقد يستنفد الحياة بجملتها ولاتكفي. كما أنه عقبة أمام الحياة النبيلة . ويسري نفس الرأي أيضا على اصدقاء المتعة ، إذ قلة منهم تكفي تماما كما هو الحال في بالنسبة للتوابل في الأطعمة.[١٠٠]

ولكن أرسطو للأسف يقف بحدود الصداقة على اسوار دولة المدينة ولانجد لديه أي اشارة إلي حب الإنسانية جمعاء، أو الأخوة العالمية التي دعا إليها السفسطائيون قبله والرواقيون من بعده . يقول "تشارلزكان" : لايبدو أنه قد كان لدى أرسطو بأي حال من الأحوال ولو من بعيد تصور عن الحب الأخوي الذي من الممكن أن يمتد ليشمل كل الإنسانية.[١٠١] وأيدت نفس الرأي كل من "تانسي شيرمان" و"جوليا آناس" أننا لانجد في البناء النظري للصداقة عند أرسطو دفاعاً عن الحب الحقيقي للبشرية والذي من الممكن أن يمتد ويتوسع بعنايته بالأخرين إلي ما هو ابعد من المحيط الذي يعيش داخله . "[١٠٢] هل النساء قادرات على ممارسة الصداقة الكاملة عند أرسطو؟؟ يستبعد أرسطو منذ البداية النساء من الدخول في النوع الأسمى من الصداقة ، وكانت حجته في ذلك أنهن تنقصهن القدرات اللازمة لتحقيق الفضيلة الكاملة والتي هي أساس الصداقة.[١٠٣] لقد كنا نتوقع وقد استبعد أرسطو من مفهومه للصداقة الحب اللواطي الأفلاطوني أن يضع في المكان الذي أصبح شاغراً ــ على حد وصف جومبرتس ــ الحب الرومانسي للمرأة ، ولكن للاسف يزدري المرأة ، وينظر إلي حبها على انه مجرد محرك فقط لإرضاء حاجة طبيعية ، وأنه افراط مدان في الخلاعة . بل وحتى العلاقة الزوجية لاتحتل عنده سوى الموضع الأوسط في دائرة الصداقات ، فهي رفقة تتجاوز قليلاً حدود الهدف المباشر للطبيعة ، وتنتج السعادة المشتركة للزوجين من خلال تبادل الخدمات المختلفة ، وتوجد سروراً ونفعاً لكلا الطرفين عندما يكون السمو حاضراً فيها ، وكانت هذه بصراحة مجرد مشكاة صغيرة في معبد الصداقة الضخم على حسب وصف جومبرتس.[١٠٤]

هل ينبغي علينا أن نقطع علاقة الصداقة إذا تغير الطرف الأخر؟؟ يجيبنا أرسطو هنا بأن هناك حالات تنقطع فيها علاقة الصداقة إذا تغير أحد الطرفين ، وهي حالات صداقة المنفعة والمتعة عندما لايعد أحد الطرفين ممتعاً أو نافعاً كما كان ، وكذلك الصداقة القائمة على الخداع عندما يكتشف الطرف المخدوع أنه قد خُدع في صديقه ، وأيضا في حالات تبدل حال إنسان فاضل فيغدو أمرئ سوء ، هذا عندما لايكون هناك أمل في شفائه وعودته إلي رشده ، أما لو كان هناك هذا الأمل فينبغي على الصديق أن يساعده على إصلاح شخصيته . واخيرا تنقطع الصداقة عندما يغدو أحد الطرفين أفضل من الأخر أو يفوقه سموا وفضيلة ، مثلما هو الحال في الصداقات المعقودة منذ الطفولة حيث نجد أنه عندما يحدث أن أحدهما يظل طفلاً في التفكير والأخر رجلاً ناضجاً فلن يظلا صديقين في هذه الحالة ، فلم يعودا يستحسنا نفس الأشياء.[١٠٥] غير أن أرسطو تاخذه الشفقة هنا فيتراجع بعض الشيء في رأيه فيقول "ينبغي أن نحتفظ بذكرى لصداقتنا الماضية طالما أننا نعتقد بأنه ينبغي علينا أن نفي للأصدقاء أكثر من وفاءنا للغرباء ، ومن ثم نحابي بعض الشيء هؤلاء الذين كنا اصدقاء لهم اكراماً لصداقتنا الماضية.[١٠٦] خلاصة الرأي أن الانفصال يغدو أمراً لامفر منه في الحالات التي يكون التغير فيها تغيراً في واحد من الشروط الأساسية للارتباط.[١٠٧]

الآن جاء وقت السؤال التالي: هل نحتاج إلي الأصدقاء أكثر في وقت الشدة أم وقت الرخاء ؟؟ يرى أرسطو أننا نحتاج إلي الأصدقاء في الحالتين معا ، ونحتاجهم في وقت الشدة والعوز أكثر منه في وقت الرخاء ، في حين أن اصطفاء الأصدقاء في وقت الرخاء يكون أكثر نبلاً . فنحن في الوضع الأول أكثر احتياجاً إلي مساعدتهم ، أما الطبائع الرجولية التي تعرف كيف تتحمل الألم بمفردها فتكون أكثر ميلا إليهم في وقت الرخاء ليشاركوها مسراتها وينشروا الاحسان عليهم . ما يجب هو أن المرء ينبغي أن يدعو الأصدقاء بحرارة وقوة لأن يشاركوه في حظه السعيد، وعن كره منه لأن يشاركوه في مصائبه ؛ لأن المصيبة هي أخر الأشياء التي يمكن أن يُشارك فيها ، ويدعوهم أيضا عندما يكون بوسعهم أن يقدموا إليه الخدمة مع أقل معاناة لأنفسهم ، وأن يردها إليهم عند حاجتهم دون أن يسألوها وبرضى نفس.[١٠٨] إن وجود الصديق الدائم أمر سار في السراء والضراء طالما أن المصيبة تهون عندما تتقاسم حملها قلوب الأصدقاء معا. والواقع أن التفكير في أنهم يشاطروننا آلامنا هو الذي يجعل مصيبتنا أخف.[١٠٩]ينبغي على الإنسان أن يكون متحمساً لدعوة أصدقائه أن يشاركوه مسراته ، متعففا عن الاستعانة بهم وقت الأزمة، وعلى الطرف الأخر يكون أكثر استعداداً للاسراع إليهم عندما يكونوا في حالة شدة أكثر عندما يكونوا في وقت رخاء. إن الصداقة مشاركة ورفقة في الحياة ، توسيع من حب النفس ليحضن الأخرين . ويجب على كل طرف أن يحس بنفس السرور وهو في حضور صديقه وفي العمل المشترك مثلما يحس بنفس السرور وهو بمفرده ، ويحترم صديقه احترامه لنفسه هو.[١١٠]ولاشك أن مشاركة الأصدقاء لنا في متاعبنا يخفف منها . ولكن أرسطو لا يحدد ما إذا كان هذا التخفيف ناشئ من توزيع العبء على أكتاف عديدة أم لأن حضور الأصدقاء إلي جورانا ، وشعورنا بمشاركتهم الوجدانية لنا شيء سار لنا في حد ذاته . وينبغي علينا بدورنا أن ننجد المكربين منهم حتى بدون دعوة منهم لنا ، في حين لا

ينبغي علينا بدورنا أن نقبل ضيافة الأثرياء لنا إلا قليلاً . والخلاصة أنه ينبغي علينا أن نحرص على تحاشي أي شيء من الممكن أن يعطي انطباعاً بالجلافة عنا.[١١١]

لم يقصد أرسطو بالصداقة الاندماج المتطرف المقدم بواسطة أرستوفانيس في "مادبة" أفلاطون ، لم يقصد بها الحب الذي يتحول فيه المحبان إلي شخص واحد. كما لم يكن يقصد بها أيضا اتحاد الجزء بالكل والذي نراه في علاقة العبد بالسيد . إن أفضل تعبير عن مقصد أرسطو بالصداقة جملة وردت في اعترافات القديس أوغسطين تقول : "لقد أحسن القول عندما قال لصديقه "يا نصفي الآخر" لأنني أشعر أن نفسه ونفسي قد أصبحتا نفساً واحدة في جسدين."[١١٢] إن نمط الصداقة الذي قصده أرسطوهذا النوع من الحب الذي يتضمن واعيا مشتركاً لدي الجميع بخير ما ، وسعي مشترك من أجل بلوغه، وهذا الاشتراك أمر جوهري لتشييد أي صورة من صور المجتمعات ، سواء كانت صورة البيت أو المدينة.[١١٣] لذلك لم تكن "جوليا آناس" على صواب في قولها بأن تحليل أرسطو للصداقة غير كاف ، لأننا غالباً ما نحب أناساً لا نستحسنهم استحساناً قوياً.[١١٤] لأن أرسطو كان سوف يرد عليها بأن مثل هذين ليسا أصدقاء حقاً، إننا قد نحب مثل هؤلاء الناس ، ولكنه ليس حباً متبادلاً ، نحن نحب العمل الذي يؤدونه ، أو طريقة الكلام ، أو نوعية تصرفهم في موقف من المواقف ، ولكنها ليست صداقة.[١١٥] وذلك لأن الصداقة نشاط أكثر من كونها سمة من سمات الشخصية ، نشاط فاضل مختلف عن الأنشطة الفاضلة الأخرى في أنه يوجه إلي شخص بعينه باعتباره الشرط الخارجي له ، وفي حالة غياب هذا النشاط لن تكون هناك صداقة أبدا.[١١٦] لذلك لم ينحز أرسطو إلي الرأي الذي قال به بعض السابقين عليه القائل بإن الضد ينجذب إلي ضده ، وإنما أيد رأي أنبادوقليس وغيره القائل إن الشبيه ينجذب إلي شبيهه ويصاقده لأن الشبيهين يتماثلان في الفضيلة والصحبة.[١١٧] فليست الفروق هي التي تجذب الأصدقاء وإنما أوجه التشابه هي التي تدفع بعض الناس إلي الترابط معا ، أما الاختلافات التي قد توجد لدى الأصدقاء فهي إما أنها عرضية أو ثانوية غير مؤثرة .[١١٨] وعلى ذلك فإن أرسطو في تصوره هذا لايشارك النظرة المحدثة إلي الصداقة والذاهبة إلي أنها مشتملة على استلطاف لما في الطرف الأخر من تفرد في الفضيلة ، إنني عندما أختلف مع صديقي عند أرسطو حول أمر من أمور الحياة الأخلاقية فإن هذا يفرض علي أن أرد نفسي إلي النهج القويم ، أو أنه يمثل علامة على أن صديقي قدلا يكون مساوياً لى في الفضيلة وكلاهما يهددان صداقتنا تهديداً مباشراً.[١١٩] لذلك أكد أرسطو على أن الصداقة يحكم العادة تجمع بين المتساويين ، غير أنها من الممكن في الدائرة الواسعة أن تجمع بين شخصيتين احداهما أعلى والثاني أدني (الأب والابناء ، الزوج وزوجته) وإن كان يجب إلا يكون الفرق بين الصديقين كبيراً جدا ، ...فمن التجديف القول بأن للآلهة أصدقاء.[١٢٠]

عندما تقوم الصداقة بين القرناء تمثل نوعاً من المقايضة ، في حين أنها عندما تقوم بين غير المتكافئين فتمثل نوعاً من النسبة والتناسب (المكافأة) . وهناك ظروف تؤثر على الصداقة مثل تباعد الأمكنة حيث يقرر أرسطو أن بعد المسافة بين الصديقين لا يقطع عرى الصداقة ولكنه يوقف مظهرها ايقافاً مؤقتا ، ولكن الغيبة إن كانت طويلة جداً عندها تنتهي الصداقة بفعل النسيان. ومن هنا جاء القول المأثور "البعيد عن العين

بعيد عن القلب."[١٢١] كما تتأثر الصداقة أيضا بالمكانة الاجتماعية ، فعندما تتباين المستويات بين الأصدقاء في المكانة يتأثر بذلك عدد الأصدقاء ، ومتانة الصداقة نفسها ، فنجد أن صداقات الأغنياء وذوي المراكز الرفيعة صداقات عديدة ومتنوعة ، في حين أن الوضع على العكس في حالة الفقراء.[١٢٢] والمراحل التي تمر بها عملية تكوين الصداقات تكون على النحو التالي :[١٢٣] توفر "نية طيبة" أو عملية لتمني الخير بشكل منفصل في كل واحد من الطرفين . ولن تزيد النية الطيبة عن عملية شعور طيب إلا عندما تتضمن القوة أو الرغبة وكذلك الاخلاص فينشأ شعور متبادل بالتقدير فيه يتمنى كل واحد منهما للأخر أن يستمر في أداء الأعمال الفاضلة ، ومع الوقت تشدد قوة هذه المشاعر بفعل الروح الحماسية في الإنسان طالما أنه من الممتع للرجل الفاضل رؤية الأفعال الفاضلة وهي تنجز سواء بيديه أو بيد أخر . وهذا السرور هو شرارة البداية للصداقة ، فهنا تدفع الروح الحماسية المرء لأن يقدم من عنده كل ما هو مطلوب لكي تستمر عملية مشاهدة هذه الأعمال الفاضلة ، ومع تكرار الأفعال الفاضلة تتحول المودة إلي صداقة يقول : "يتواصل الأخيار من البشر(تدريجيا) إلي أن يؤمن الواحد منهما بالأخر، إذ لا يصبح البشر اصدقاء لاؤلئك الذين لا يشعرون بالسرور معهم."[١٢٤]

ننتهي بهذا من عرض مفهوم أرسطو للصداقة وبقي أن نقول أن هناك من يعترض عليه خاصة برهانه على أن الصداقة مع الأخرين تنبع من علاقات المرء مع ذاته ، فقيام أرسطو باشتقاق علاقات الصداقة من علاقات المرء مع ذاته في رأي "جوليا آناس" برهان صوري متكلف ، فمن المحتمل أن أرسطو لا يعتقد أن أياً من هذه العلاقات يمثل معياراً نموذجاً لها ، بل يعتقد أنها بجملتها اشارات لشيء واحد هو أن الإنسان الفاضل يتكلف بأن يحقق هذه العلاقات مع نفسه ، طالما أنه يتكلف بأن يكون من نوعية هذا الشخص.[١٢٥] كما يُعترض على قول أرسطو بأن الصداقة تقوم أساساً على السمات الفاضلة في شخصية الصديق بأنه لو كان الأمر كذلك فليس الشخص المحبوب ، بل فضائلة والتي لا تكون فطرية فيه ولامحبوبة في ذاتها هي موضوع الصداقة إذن ، ومن ثم فإن قول أرسطو بأن الصداقة حب الخير للصديق من أجل ذاته قول لا أساس له ، وتوحيد أرسطو الذي فعله بين ذات الإنسان وبين شخصيته الأخلاقية الفاضلة يهوي به أكثر في هذا الاعتراض .[١٢٦]

وهناك نقد ثالث يري أن التصور الذي ساقهه أرسطو يقول بأشياء من الصعب أن تتماشي مع ما قام به أرسطو نفسه من توسيع لمجال الصداقة ، فإذا كانت الصداقة تتضمن تعاطفاً متبادلاً ونية طيبة من الطرفين ، وأن يكون الطرفان مدركين لذلك . فمن الصعب أن ينطبق هذا على الحاكم بالمحكوم ، فلا يعيش المرء مع حكامه ، ولايعرف شيئاً عن أذواقهم ، وتزداد الغرابة عند تطبيق ذلك على العلاقات التجارية والتي اعتبرها أرسطو صداقة ، إنه من الصعب تحاشي النتيجة القائلة بأن أرسطو قد أفرط في تبسيط المفهوم .[١٢٧] وهناك مأخذ رابع وهو أنه بينما يكون أرسطو مهتماً بالتنسيق الباطني لمفهوم الصداقة فإنه يفشل في ادخاله بشكل متناغم في نسق الأخلاق ككل عنده ، ومن المحتمل أن هذا التصور للصداقة قد تم تدوينه في وقت مبكر ــ ربما في وقت كان تأثير "ليسيس" أفلاطون قوياً على أرسطو ــ وأضيف مؤخراً إلي مجموعة المناقشات التي تؤلف كتاب الأخلاق.[١٢٨]

وعبارة أرسطو : يخالط الرجل الفاضل صديقه كما يخالط نفسه لأن صديقه يمثل ذاتاً ثانية له تثير السخرية من الشراح الذين يشيرون بلا ملل إلي أن المرء لا يمكن أن يتعرف ــ من الناحية المنطقية ــ على أفكار الشخص الآخر وآلامه .. الخ بالدقة التي يتعرف بها على مشاعره هو الشخصية .[١٢٩] حسبنا ما سبق عرضا لمفهوم الصداقة عند أرسطو والعناصر التي تتألف منها ، والسؤال الذي يجول بالخاطر الآن هو : ما الأسباب التي تجعل الصداقة تقوم بين الناس ؟؟

ثالثاً: أسس قيام الصداقة

نظر أرسطو إلي الصداقة على أنها احدى الحاجات الضرورية للحياة بحيث لايمكن أن تُعاش الحياة بدونها ، وقدم الأدلة التي أثبت بها ذلك ، فلماذا تقوم علاقة صداقة بين اثنين من الناس ؟؟ قدم أرسطو عدة أسس لقيام الصداقة تتراوح بين الأسس البيولوجية والأسس السيكلوجية على النحو التالي :

أ- الصداقة ضرورة بيولوجية

قرر أرسطو أن كل موجود يشعر بالحنين إلي مثيله في النوع ، وإلي الاجتماع معه بالغريزة . وأن هذا الأمر ليس خاصا بالبشر وحدهم ، بل وبين معظم الحيوانات الأخرى ، إنها تشعر بالحب المشترك نحو أعضاء من نفس نوعها، ولكن هذا الشعور يظهر على وجه الخصوص بين البشر : نراه عند الأباء نحو الأبناء، والعكس، والاخوة بعضهم نحو البعض الأخر . ويمكننا أن نرى في سفرياتنا إلي أي حد يكون الإنسان محباً وودوداً مع كل رفيق له على الطريق .[١٣٠] إن البشر جميعاً لديهم نزوع غريزي إلي أن يبحث كل واحد عن صحبة الأخرين. وكم أكد أرسطو في كتابه السياسة على أن الإنسان حيوان اجتماعي. وانتهي إلي القول بأنه "ما من أحد سوف يختار أن يعيش بلا أصدقاء حتى وإن كان يمتلك كل الطيبات الأخرى."[١٣١]

ليس الإنسان كائناً انعزالياً في هذا العالم ، بل أن طبيعته الغريزية تدفعه إلي العيش مع الأخرين . فإذا عن لنا أن نسأل ولماذا تدفع الغريزة الإنسان إلي الاجتماع مع الأخرين ؟ كانت إجابة أرسطو أن الموجودات البشرية "ليس من السهل عليها وهي بمفردها أن تستمر في النشاط والفاعلية ، في حين أن هذا يكون أيسر عندما يكون الإنسان في معية الأخرين."[١٣٢] لأن الإنسان كائن ناقص بطبعه ويحتاج إلي الأخرين ليكملوا هذا النقص، فلا يستطيع الإنسان أن يوفر احتياجاته الطبيعية من الطعام والشراب والجنس بمفرده ، مما يدفعه بالغريزة إلي الاجتماع مع الأخرين وتكوين الصداقات معهم ، فتقوم المدينة والتي هي مجتمع مؤلف من أسر " ولايمكن أن تقوم إلا بين هؤلاء الذين يعيشون في مكان واحد ومتزوجان ، فتنشأ في ظل ذلك الروابط العائلية ، وصور الأخوة ، التضحيات المشتركة ، أشكال المتعة المشتركة . وتُخلق مثل هذه الأشياء بالصداقة ، لأن الرغبة في العيش عيشاً مشتركاً هي الصداقة."[١٣٣] وانتهي أرسطو إلي رأي يعطيه مكانة رئيسية في مطلع تصوره للصداقة ، ويحتفظ به على مدي معظم أجزاء التصور في خلفية الحديث وهو أن الصداقة مغروزة في طبيعتنا الحيوانية .[١٣٤] فالصداقة قانون من قوانين الطبيعة، لذلك فدراسة الصداقة يمثل في الوقت الذي يكون فيه جزءاً مكملاً لدراسة الأخلاق، رباطاً يربط الأخلاق بالتصور الخاص بالمدينة .[١٣٥]

فإذا كانت السعادة هي خير الإنسان الأسمى الذي يُطلب من أجل ذاته ، فلن يتحقق هذا إلا عندما يتحقق الكمال البشري ، ولن يكون بوسع الإنسان أن يبلغ الكمال مالم يكن له أصدقاء ، طالما أن الصداقة عنصر جوهري من عناصر الفطرة البشرية. إن الصداقة عند أرسطو الصورة المعدلة الراقية لعلاقة اجتماعية غريزية تنشب بين كل الطبائع الحية . ولكن بينما تحيا الموجودات البشرية هذه الغريزة كصداقة تعيش الحيوانات هذه الغريزة الاجتماعية كل بطريقته الخاصة من خلال أسرابها الطبيعية. ولاشك أن حضور العقل في البشر هو الذي يحول الصداقة البشرية إلي ما هو أكثر من مجرد الغريزة الحيوانية إلي الاجتماع . ومن ثم فالصداقة المثال الأعظم تجسيداً — كما يقول زيللر— لما في الجنس البشري من ميل طبيعي إلي الاجتماع ، والرباط الذي يربط البشر الواحد منهم بالأخر ، ليس باي طريقة مادية كما هو الحال في الحقوق القانونية ، وإنما بواسطة الغرائز الضاربة بجذور عميقة في طبيعتهم .[١٣٦]

٣- الصداقة ضرورة نفسية

هناك بعض الصدق في الرأي الذاهب إلي أنه كان يؤخذ مأخذ البداهة في فلسفة الأخلاق عند اليونان أن الأنانية أو السعي وراء مصالح الفرد الشخصية أمر جوهري . لذلك وجدنا أفلاطون يدافع في "الجمهورية" عن النظام الأخلاقي باظهار أن "مصلحة الفرد هي أن يعيش حياة عادلة ، فإن أرسطو يفعل نفس الشيء في تفسيره لسبب قيام الصداقة، حيث أكد على أنها مكون ضروري من مكونات السعادة الفردية.[١٣٧] ومن ثم يشير أرسطو إلي وجود حاجة نفسية إلي تكوين الأصدقاء إلي جانب الحاجة البيولوجية ؛ فالصداقة تشبع حاجة نفسية ملحة إلي الشعور بالرضى والسرور النفسي عندما يشعر المرء بأنه يهتم ويراعي مصالح أناس لهم أهمية عنده. فكانت الصداقة بذلك تمثل عنده المجال التمهيدي للإيثارية .[١٣٨]

ويشرح أرسطو ذلك بقوله: دائماً ما يحب الإنسان الخير لنفسه، وهذا هو السبب الذي يجعله يتخذ أصدقاءً له! لأن الإنسان في حبه لصديقه يحب نفسه هو؛ لأن الرجل الفاضل متى صار صديقاً لأحد فإنه يغدو خيراً لهذا الذي يحبه، وعلى ذلك فإن كلا الطرفين يحب خيره هو الشخصي، وذلك لأن الصديقين يتبادلان عوضا متساوياً تماما سواء في نيتهما أو في نوع الخدمات المتبادلة.[١٣٩] أما عن الكيفية التي يتم بها اشتقاق الصداقة مع الأخرين من صداقة الإنسان مع نفسه فتتمثل كما يقول "تشارلز كان" في ثلاث طرق : الأولى في دعوى سيكولوجية محضة ترى أن مشاعر حب الذات مشاعر بدائية أولية بمعنى من المعان وينبغي أن تنمو وتتطور إلي ارتباطات بالأخرين ، ومن ثم فهذه الدعوى تعتبر نظرية أرسطو تبشيرا بفرض "سيجموند فرويد" القائل بالنرجسية الطفولية . الثانية : أن هناك أولوية عقلية للانانية، ولكونها أكثر معقولية فإن برهاناً على الإيثارية ينبغي أن يتخذ حب الذات مقدمة له. طالما أن الاعتبارات الأنانية تساعد في اظهار كيف أن البشر يُدفعون ويحركون نحو التصرف تصرفاً إيثاريا.[١٤٠] والثالثة التفسير القائل بالتساوي في العقل بين البشر الفضلاء، فعلى هذا الأساس تقوم الصداقة، حيث يوحد أرسطو بين هذا الجزء وبين جوهر الشخصية، ويفطن الشخص الفاضل إلي ذلك فيحب عقله، ومن ثم يكون صديقاً لنفسه ، وعند ارتباطه بالعديد من النفوس الفاضلة في صداقة يظل هذا الوضع مع ذلك بلا اختلاف

من الناحية الجوهرية، وبالتالي فإن في حبي لعقلي أحب عقل كل إنسان فاضل أخر.[١٤١]

إن الصديق عند ارسطو عندما يضحي بمصالحه ــ أو حتى بنفسه ــ من أجل صديقه لايكون في حقيقة الأمر مضحياً بمصالحه الشخصية ، طالما أن الذات هنا تصبح ممتدة إلي الصديقين . وذلك لأنه لو كانت الصداقة توسعا من مساحة الذات ، فإن المرء عندما يسهم في تحقيق مصالح هذه الذات المتوسعة الجديدة فإنه لن يكون مضحيا بذاته بدرجة كبيرة . فعندما تقدم منافع مادية لصديق وكذلك فرصا للفعل والاختيار وتبديه على نفسك فإن هذا لا يجسد تضحية بذاتي وانكاراً لها ، بل يجسد حبا لها في حقيقة الأمر، إذ في هذا توظيف واستغلال لقدرات الذات العقلية وتدريب لها مما يحمل معه الرضى للإنسان نتيجة لإحساسه بحسن توظيفه لقدراته.[١٤٢]إن الناس في حبهم للصديق يختارون ما يكون محققاً للخير لأنفسهم وذلك لأن الرجل الفاضل عندما يغدو صديقاً ، يغدو جالباً للخير على صديقه وفي الوقت نفسه يكون صديقه جالباً للخير عليه ، وذلك لأن ادراك ماللصديق من شخصية فاضلة يحفزني لأن أتمنى له كل ما يكون خيراً ، ويصدق الشيء نفسه على الصديق ، فتمني الخير هنا يكون متبادلاً مما يجلب علي الرضى النفسي .[١٤٣] ويشرح ديفيد روس ذلك بقوله : إذا كان الرجل الفاضل يحقق أعظم درجة من التناغم مع نفسه و من الثبات عندما يبذل أقصى ما في وسعه لاحترام العنصر العقلاني فيه ، ولما كان الصديق يمثل ذاتاً ثانية له ، فإن اتخاذه صديقاً يعزز هذا الشعور بالرضى النفسي إلي أقصى حد.[١٤٤]

لقد رأينا أن من شروط الصداقة أن تتضمن حباً واستفادة متبادلة وأن الصديق ذات ثانية لنا ، ومن ثم فها هنا يختفي الفصل بين مصلحة الصديق وبين مصلحتي أنا الشخصية ، وأن المرء في لحظة التضحية بالخيرات المادية ، وربما حتى في لحظة التضحية بحياته يربح النبل والاحساس بأنه قد عمل صنيعاً مجيداً . لذلك لايمكن أن ينشأ تعارض ــ كما يرى آلان ــ بين حب الذات الفطري وبين الصداقة .[١٤٥] وتعكس دعوى أرسطو السابقة إلي أن الصداقة مكون هام من مكونات السعادة الفردية طابعاً من الارتداد إلي الذات في الصداقة وبالتالي تمثل دليلاً أولاً على اشتقاق الصداقة من حب الذات. فرغم أن الصديق قدلا يتصرف تصرفاً صريحاً سعياً وراء مصالحه الشخصية فإن النتيجة المترتبة على سلوكه هذا سوف تظل ترسيخاً لحياته هو الشخصية . والواقع أن تأكيد ارسطو على أن درجة اهتمامنا بالشخص تعتمد على طبيعة علاقتنا به ، حيث أننا نبذل أقصى درجات الاهتمام بمن نحبه، ولما كانت ذاتنا أعظم ما نحب، فإن المرء يحب نفسه أعظم من أي شخص أخر . أقول إن هذا التأكيد من جانب أرسطو دليل ثاني على اشتقاق الصداقة من حب الذات .[١٤٦] فإذا كانت الصداقة قادرة على احداث اهتمام إيثاري بالأخرين، فإن هذا الإهتمام يتضمن أيضا عناصر من حب الذات، وذلك لأن هذا الاهتمام في الغالب ما يكون مقيداً بأناس مرتبطين بنا ارتباطاً حميماً. والدليل الثالث أن الصداقة عند أرسطو تُفهم أول ما تفهم في المفردات الخاصة بعلاقة المرء بنفسه، وذلك لأن أرسطو بعدما انتهي من مناقشة سبب كون المرء لايتمنى أن يصبح صديقه إلهاً رغم أنه يتمنى أن يملك صديقه أسمى الخيرات يقول "ولكن من المحتمل أنها ليست كل الخيرات ، لأن كل أمرئ يتمنى احراز

الأشياء الطيبة بأعظم قدر ممكن لنفسه."[١٤٧] والدليل الرابع: أنه على مدى الفصل الثاني عشر من الكتاب الثامن من الأخلاق النيقوماخية نراه يفسر الحب العائلي بطريقة شبه انانية رادا إياه إلي مصدر حب الذات ، حيث يقول " يحب الأباء أبنائهم بوصفهم شيئاً نابعاً من أنفسهم، في حين يحب الأبناء الأباء بوصفهم مصدر وجودهم."[١٤٨]

ليست الذات شيئا جامداً في الإنسان بل قابلة للامتداد بشكل لاحد له . ونحن نفعل ذلك عند معاملة أصدقاءنا على أنهم "ذوات أخرى" لنا ، أو "جزء من أنفسنا" إذ أننا ــ كما يقول روس[١٤٩] ــ نجعل سعادتهم موضع اهتمام لنا بشكل مباشر مثلما تكون سعادتنا الشخصية لنا . فالأم التي تشعر بالألم نتيجة لشعور ابنها به ، وكأن جسمها هي هو الذي يتألم توصف غيريتها هنا بأنها أنانية ، ولكنها أنانية غير مدانة ، لأن هناك نوعين من حب الذات : حب ذات مرذول عندما يكون متجهاً إلي الطيبات المادية، وأخر حسن فيه تجد الذات راحتها في تحقيق سعادة الأصدقاء والمحيطين بها ، إذ أن رجلاً كهذا سوف ينفق أمواله ووقته ويحرز الأفضل من ذلك في الحسبة : فالأصدقاء يحصلون على المال، في حين يحصل هو على الشعور بالإتياح النبيل بأنه قد فعل الصواب . بل وحتى عندما يموت فداءً للأخرين ــ كما يقول أرسطو ــ يربح في هذه الحالة أكثر مما يخسر، يربح حسن السيرة ودوام الذكر .[١٥٠] فكيف لنا أن ننتقل من حب الذات الذي يُفهم على أنه الأنانية العاقلة أو السعي المتنور وراء مصالح الفرد النبيلة إلي الصداقة المأخوذة على أنها حب الأخرين من أجل ذواتهم وحدها ؟ الواقع أن أرسطو يخصص الفصل التاسع من الكتاب التاسع من الأخلاق النيقوماخية لإيضاح هذا الاشتقاق، وهذا ما سوف نراه عند الحديث عن الأساس الثالث لقيام الصداقة .

فإذا عن لنا أن نسأل عن السبب الذي يجعل الشخص الذي يضحي بوقته وماله وربما حياته من أجل صديقه يربح النصيب الأفضل في الصفقة فإننا نجد أرسطو يرد هذا السبب في أنه يشبع بذلك الجزء الأعظم سيطرة على نفسه ويطيعه في الأشياء جميعاً وهو العقل . فالرجل الذي يجيب العقل ويرضيه هو أعظم الجميع حباً لذاته . وذلك لأن العقل هو العنصر المسيطر على الإنسان ، والمعبر الأعظم تعبيراً عن ذاته الحقيقية، وهو الذي يرضيه الإنسان الفاضل فيما يقبل عليه من أفعال التضحية بالذات.[١٥١] لأنه يخص نفسه بالخير الأعظم ، فيبدو فاضلاً لأنه فضل الشيء النبيل على كل شيء أخر. سوف يكون الأسمى في نظره أن يكون هو مسؤلاً عن عمل صديقه من أن يؤدي هو نفسه هذا الفعل ، وهذه هي الطريقة التي ينبغي أن يكون المرء بها محباً لذاته حقاً .[١٥٢] إنه الأفضل لأنه يلقي وراء ظهره بكل الطيبات المادية التي تكون موضوعات للمنافسه ، ولايبقي لنفسه سوى شرف النبل . سوف يفضل فترة قصيرة من الاستمتاع القوي على زمن طويل من اللذة الباردة. ولاشك أن هؤلاء الذين يموتون من أجل الأخرين يربحون هذه الثمرة حتما، وبالتالي يربحون جائزة عظيمة.[١٥٣] إن حب الذات الذي تنطوي عليه نظرية أرسطو لايعبر عن نزعة أنانية بغيضة، إنه ليس حباً مدمراً للمجتمع ، بل على العكس هو مفيد للشخص وللمجتمع معاً . إن أرسطو يأخذ مأخذ البداهة أن حب الذات سوف يكون موضع مدح وثناء عندما يكتشف أنه سوف يصنع مواطناً جديراً بالاعجاب .[١٥٤] ولايتضمن هذا أن حبي للأخرين واهتمامي بهم يعني عند أرسطو أنني أهتم بهم فقط بطريقة تجعلهم مجرد

وسيلة تقود إلي تحقيق مصالحي الشخصية ، كما لايتضمن هذا أيضا أنه ينبغي علي أن أضع مصالحي في المقدمة دائما ، لأن الواقع يقول إنني أنطلق من عملية الاهتمام بالذات كحقيقة سيكولوجية لأصل إلي نقطة أن تمتد ذاتي لتشمل الأخرين ومصالحهم ، وأصل بذلك إلي درجة الاهتمام بخيرهم من أجل ذواتهم وحدها .[١٥٥] إذ لما كان حب الأصدقاء صورة منعكسة لما يحمله الإنسان الفاضل من حب نحو ذاته، فمن المستحيل امكانية أن تكون هناك مناقضة حقيقية بين الطرفين ، طالما أن حب الذات الحقيقي يتمثل في أن نجلب لأنفسنا كل ما هو فاضل، ولن نحقق هذا تحقيقاً كاملاً الا بمقدار التضحية التي نقدمها للصديق.[١٥٦] وترتكز دعوى أرسطو السابقة بأن الصداقة ضرورة سيكولوجية على مفهوم أرسطو للتروي ؛ فقد كان يقصد به اختياراً متروياً معبراً عن الشخصية وعن غاياتها العليا. ويجسد اختيار صديق من الأصدقاء هذه القدرة للعقل تجسيداً قوياً ، وذلك لأن في اختيار شخصية الصديق فإننا نختار "ذاتاً ثانية" تشارك في الاحساس بأهدافنا وتعهداتنا.[١٥٧]

وهنا نتسأل هل كانت نظرية الصداقة الأرسطية دعوة إلي الإيثارية أم أنها تحمل في جوهرها نزعة أنانية متطرفة؟؟ اختلف شراح أرسطو حول هذه النقطة فذهب فريق يضم الآن وديفيد روس إلي القول بأن نظرية الصداقة عن أرسطو تصطبغ بصبغة أنانية بالغة قائمة في كل جوانبها حتى النخاع ، إذ لم يشدد ارسطو على عرضه لقيمة التضحية بالذات ، بل أكد على أنه لايُعقل أنه من الممكن لإنسان من الناحية السيكولوجية أن يختار أي شيء غير اختيار مصلحته الشخصية ، فهي الدافع المحرك إلي كل سلوك عند أرسطو .[١٥٨] بل أن ديفيد روس يؤكد على ان نسق أرسطو الأخلاقي كله نسق متمركز حول الذات تمركزاً تاماً ، ولايشذ عن ذلك حتى تصوره للصداقة ففيه نزعة أنانية حاضرة وتغيب عنه الغيرية غياباً تاماً.[١٥٩] ومن ثم ففي رأي هذا الفريق تكون الفكرة القائلة بأن أي إمرئ ــ حتى الإنسان الفاضل ــ من الممكن ان يتمنى الخير حقا للناس الأخرين من أجل ذواتهم بنية صافية تبدو في التحليل الأخير فكرة غير مقبولة عند أرسطو ، ويرجع هذا إلي أن أرسطو يميل إلي الافتراض القائل أن كل دافعية بشرية تكون متجهة أصلاً نحو تكييف الذات ، حقاً افادة الأخرين أمر هام ، ولكنه إذا شئنا الدقة ثمرة مترتبة على حب الذات.[١٦٠] في حين نادى فريق ثاني بأن نظرية الصداقة الأرسطية نظرية إيثارية في أساسها ، حيث يذهب "كان" إلي أننا لو كنا نعني بالإيثارية اهتمام بمصالح الأخرين من أجل ذوات هؤلاء فإن الصداقة عند أرسطو عمل إيثاري بكل تأكيد.[١٦١] ويتفق معه في ذلك "جون كوبر" أعظم من كتب في الصداقة عند أرسطو حيث يؤكد بدوره على أن الإيثارية بهذا المعنى سمة مميزة للصداقة بوجه عام عند أرسطو . وعبر "تايلور" في عرضه لمحاورة "ليسيس" لأفلاطون عن هذا الرأي بقوله: إن أولئك الذين يدينون ما في الأخلاق اليونانية من ميزة "التمركز حول الذات" عادة ما يتخطون هذين الكتابين ٨،٩ في قراءتهم لكتاب الأخلاق الأرسطي."[١٦٢] و"أكد "جوليا آناس" بدورها على هذا بقولها " تتمثل السعادة في اهتمام حقيقي بخير الأخر ، وكل محاولة لرد الصداقة إلي مجرد اهتمام أناني بالذات ، محاولة فاشلة ، لأنها سوف تقدم تصوراً لشيء أخر وليس للصداقة."[١٦٣] وفي مقال

لها أخر تؤكد على أن الإيثارية نقطة بديهية في تصور الصداقة الأرسطي لاتحتاج إلي برهان.[١٦٤] ويشترك في هذا الرأي ايضا "هاردي".[١٦٥]

والرأي الذي نميل نحن إليه هو أن أرسطو في نظريته للصداقة يمزج حب الذات بالإيثارية ، فهو لايقول بالأنانية المتطرفة ، ولايدعو إلي نزعة إيثارية خالصة ، بل تجمع نظريته بين النزعتين وقد كان ارسطو رائداً في ذلك . إن من قال بالإيثارية المتطرفة عند أرسطو قد تجاهل أن أرسطو أكد على أن السعي وراء المصلحة الذاتية سمة جوهرية في الصداقة بمختلف أنواعها ، وأن صداقات اللذة والمنفعة تخلو من اي عنصر إيثاري طالما أنها سرعان ما تنحل عندما لايغدو الأصدقاء ينتظرون بعد منفعة تعود عليهم من الطرف الأخر.[١٦٦] فلا الأنانية المحضة ولا الإيثارية الخالصة تتيحان عرضاً دقيقاً لطبيعة الصداقة، فلا يجب أن تكونا صيغاً متعارضة تعارضاً تبادلياً في الصداقة . فلاشك أن الصداقات تتيح الفرص للفعل الإيثاري ، ولكن المرء لاينبغي أن يهمل في الوقت نفسه الهدف الرئيس المتعلق بتحقيق سعادته الفردية . وافضل اسلوب من أساليب البحث في فلسفة أرسطو في الصداقة النظر إلي الصداقة كصورة من صور الإيثارية المرتدة إلي الأنا **Self- referential Altruism**.[١٦٧]

لقد كانت نظرية أرسطو في الصداقة بهذا الشكل محاولة لإزالة التعارض بين الأنانية والإيثارية ، وذلك بإظهار أن أنانية إنسان فاضل تحوز نفس الصفات بالضبط التي تكون للغيرية ، فما يفعله أرسطو أنه يبذل محاولة عظيمة لتفسير الغيرية في مفردات سيكولوجيا متمركزة حول الذات . ويجب أن نتذكر هنا أنه حتى مؤسس المسيحية قد قال "حبوا جيرانكم حبكم لأنفسكم."[١٦٨] يقول "تشارلز كان" في نهاية مقاله : يختفي التعارض بين الأنانية والإيثارية نظراً لاختفاء التمييز من حيث المبدأ بين الذات والأخر.[١٦٩] وتؤكد "بانجلي" في دراستها القيمة للصداقة عند أرسطو أن "حب الذات" والتضحية النبيلة ليسا متناقضين في الصداقة ، بل مرتبطان الواحد منهما بالأخر إلي حد أكبر بكثير مما قد يوحي المنطق العادي بذلك . وتنهي الفصل التاسع من كتابها بالتساؤل الإستنكاري التالي: إذا لم يعتبر الأصدقاء أن تضحيتهم الواحد منهم من أجل الأخر قمة النبل ، أو قلب صداقتهم النابض فماذا سوف تكون نقطة ارتكاز الصداقة إذن؟؟[١٧٠] ويرتكز النهج المتبع هنا على الاحساس المشترك ، حيث يُعتقد أن حب الذات له الأولوية السيكولوجية ، ولكن هذا لايتعارض في حد ذاته مع قناعتنا بأن لدينا اهتمام حقيقي واصيل بالأخرين . واعتقد أرسطو أن التوسع في الاهتمام بالذات ليشمل الاهتمام بالأخرين مسالة بديهية لاتحتاج إلي برهان . وكان قريباً من الحس العام في معالجته للاهتمام بالذات والاهتمام بالأخرين.[١٧١]

والسؤال الذي يخطر بالعقل هنا ونحن نتحدث عن الأساس النفسي لقيام الصداقة هو : هل من الممكن أن يكون الإنسان صديقاً لنفسه طالما أن الصديق هو "ذات ثانية " لنا ، أو مرآة نرى فيها ذاتنا ؟ ويجيب أرسطو على هذا السؤال بأنه صداقة الإنسان لنفسه لاتسمى صداقة إلا على سبيل المجاز فقط وليس الحقيقة ؛ لأن ممارسة الحب وتلقيه يتطلبان شخصيتين منفصلتين . وتكون هذه الصداقة المجازية في حالة الإنسان الفاضل لأجل الخير ، لأن الإنسان هنا يحب نفسه ، ويحب الخير لأجل ذاته . ولما كان هناك جزءان في نفسه (العقل والشهوة) يرغبان بالطبيعة أن يكونا صديقين ، وتشبه

هذه الصداقة تلك التي تقوم بين الأقارب.[١٧٢] أما في "الأخلاق الكبرى" فيسلم ارسطو صراحة بامكانية قيام صداقة حقيقية مع ذات المرء شريطة أن تغدو النفس عند الإنسان واحدة ، ويتحقق هذا عندما تكون الشهوات والعقل على تناغم الواحد منها مع الأخر ، وهذا ما يتوفر فقط في الإنسان الفاضل ، لأن فيه وحده تكون أجزاء النفس على علاقة متينة الواحد منها مع الأخر.[١٧٣]

لاينظر أرسطو إلي الذات على أنها العقل غير المشخص المفارق ، بل هي ببساطة الفرد الذي يفكر ويتصرف ولديه مشاعر ورغبات ، الفرد الذي يعرف الأخر ويدرك نفسه كذات مفردة في ذات الوقت . ومن ثم فعندما يرتبط المرء بصديقه والذي يمثل ذاتاً أخرى له فإنه يفعل ذلك وكأنه يرتبط بنفسه ، بمعنى أنه ينظر إلي الصديق نفس النظرة التي ينظرها إلي نفسه.[١٧٤] لذلك عندما يطرح أرسطو سؤالاً على نفسه عما إذا كان ينبغي على المرء أن يحب نفسه أعظم من حبه لأي شخص أخر أم العكس ، نراه يميز بين النوعين السابقين من حب الذات : النوع السيء والنوع الخير ، ووفقاً للمعنى الأخير نجد أن الرجل الفاضل ينبغي أن يحب نفسه أعظم من أي شيء أخر ، وذلك لأنه يفعل الأشياء التي تكون طيبة ، وسوف يفيد نفسه ويساعد اتباعه في ذات الوقت أيضا على حد قول أرسطو.[١٧٥] وكوني اتمنى الخير لصديقي لايعني أنني أتمنى له كل الأشياء الطيبة ، لأنني لو فعلت ذلك لكنت أتمنى له أن يحصل على مالم أكن أنا نفسي قد حصلت عليه لنفسي ، وهذا شيء غير معقول لأنني لو كنت صديقاً لنفسي لتمنيت الخيرات لنفسي بدرجة أعظم من الجميع كما قال أرسطو نفسه.[١٧٦] الواقع أنه عند التمعن في الدعوى الأرسطية الذاهبة إلي أن الصداقة التي نقيمها مع الأخرين تنبع من الصداقة التي يقيمها المرء نحو نفسه لانجد أن ما كان يقصد بها هو نرجسية الأطفال، ولا أنانية الكبار من العامة ، وإنما النموذج الكامل والأعلى لحب الفاضل لنفسه.[١٧٧] يقول جومبرتس : إن أعظم غرض أهمية من بين كل الأغراض التي تشبعها الصداقة هو الغرض الخاص بتوسيع ذات الإنسان الشخصية ، وهو التوسيع الناشئ من الذات الثانية (الصديق) وهو الذي يؤدي إلي الوعي بالذات ، وهو وعي سار في ذاته ، ويتقوى هذا الوعي والمتعة المقترنة به تقوية عظيمة بواسطة الشعور بالرفقة.[١٧٨] ويبدو أن أرسطو في قوله بأن عملية اختيار التصرف من أجل الأخرين اختيار للشيء البطولي النبيل على العمل الروتيني الرتيب يرد ذلك إلي عرف يوناني شائع هو عرف العقيدة البطولية ، تلك البطولة التي تتمركز تمركزاً شديداً حول الذات ، رغبة منها أن تلمع وتتفوق لفترة قصيرة وسريعة زمنياً.[١٧٩]

لكن المحاولة التي بذلها أرسطو لاثبات أن الصداقة ضرورة سيكولوجية نظراً لما يوجد في الفطرة الإنسانية من حب للذات قد تعرضت لانتقادات الدارسين : فذهب ثيودروس جومبرتس إلي أنه من التعسف وضع اعتبارات من هذا النوع كأساس لتبرير التضحية حتى بالحياة ذاتها ، إذ إنطلاقاً من الزاوية اللذية من المستبعد أن يكون هناك تبريراً مباشراً للتضحية بالذات عن طريق الموت.[١٨٠]في حين أكدت "جوليا آناس" على أننا في ضوء أوجه التوازي الكبيرة المرسومة بين الصداقة والعدالة نستطيع أن نرى أن أرسطو لا ينظر إلي ما قام به من اشتقاق للصداقة من حب الذات على أنه أمر مقبول بشكل بديهي . إنه على وعي مثله مثل أي قارئ حديث أن هذا من

الناحية البديهية يبدو امراً مريباً ، ويُعتقد اننا نجبر على قبوله.[١٨١] أما قول أرسطو بأن المرء من الممكن أن يكون صديقاً لنفسه بفضل أن نفسه مقسمة إلي أجزاء ، وأن الصداقة تتطلب طرفين ، فإن هذا في رأي "آناس" لايحل الصعوبة حلاً حقيقياً ، لأن أرسطو نفسه لايريد لأجزاء النفس أن تكون مستقلة الواحدة منها عن الأخرى بأي معنى حقيقي.[١٨٢]

فإذا سألنا وهل نجح أرسطو في التوفيق بين حب الذات والإيثارية في نظريته كانت الاجابة في هذه المرحلة من النظرية بالنفي ، إذ يُعتقد أن أرسطو يفشل في هذه المحاولة. حيث يتحول الأمر إلي مجرد تمركز تام حول الذات يقصي عملية الاهتمام بالأخرين ، ويتركنا وجها لوجه أمام حب الذات . إن الاهتمام بالأخرين يبدو هنا مجرد مظهر شكلي في حين ان الأعظم جوهرية عنه هو حب الذات.[١٨٣] وانتهي"هاردي" إلي ذلك أيضا ذاهباً إلي أن كل خطوة تُتخذ من أجل التسوية بين الأنانية والغيرية تنطوي حتما على تعارض لايمكن التغلب عليه بأي شكل ولم يكن بمقدور أرسطو أن يتجاهل الأمرين.[١٨٤]غير أن "جوليا آناس" تبذل محاولة طيبة للدفاع وتؤكد على نجاحه في التوفيق بين الاثنين ؛ إذ أن حب الذات المقصود هنا ليس من النوع المرذول المنكب على المتع المادية ، بل من النوع النبيل ، فأنا أختص نفسي فيه بالشيء النبيل الشريف وليس بالمال . واختصاص نفسي ليس فيه جور على أي فرص لك ، ولايضر بوضع اي امرئ أخر. فحب الذات هنا لايقصي التضحية بالذات . ولاتوجد مشكلة هنا طالما أن الشخص يعتقد في نفسه أنه يسلك انطلاقاً من الاهتمام بأصدقائه من أجل ذواتهم ، وفي الوقت نفسه انطلاقاً من الاهتمام بذاته كطالب يسعى وراء النبيل ، ولاتعارض بين الاثنين. إن نظرية أرسطو بهذا لها مصدران : فالاهتمام الأصلي بالذات والاهتمام بالأخرين لهما مصدر واحد مشترك، وأن هذا المصدر المشترك هو حب الذات .[١٨٥]

٣- الصداقة ضرورة حياتية

لم يشعر أرسطو أن الصداقة ضرورة لازمة لقيام المدينة السعيدة وحدها ، بل وبأنها عنصر ضروري من عناصر الحياة نفسها . وما كان من الممكن لحياة الإنسان أن تستمر ــ فضلا عن أن تُطاق ــ في هذا العالم بدون الصداقة ، وأعتقد أن هذا لايسري على الحياة في عصر أرسطو وحدها ، بل ويسري على الحياة في عصرنا الحالي . إن المشكلة التي صادفها أرسطو في أثينا القرن الرابع قبل الميلاد هي نفسها مشكلة عصرنا نحن اليوم .[١٨٦]

ففي مستهل حديثه عن الصداقة في مطلع الكتاب الثامن من الأخلاق النيقوماخية أكد أنها الأعظم ضرورية للحياة لأنه لا يمكن لأحد أن يعيش بلا أصدقاء ولو كان مستمتعاً بكل الطيبات الأخرى.[١٨٧]إن الإنسان في كل أحوال حياته من حيث الكبر أو الصغر ،الفقر أو الغنى ، الصحة أو المرض يحتاج إلي الصداقة لتستمر الحياة نفسها ، ففي حياة الأغنياء وأصحاب السلطان للصداقة ضروريتها أكثر من اي شيء أخر ، لأنه ما جدوى هذا النعيم ما لم توجد الفرصة للإحسان والذي يُوجه على الخصوص وبأعظم صورة سهولة للأصدقاء؟ كما أن الثروة تُحفظ وتصان بالأصدقاء ، فكلما كبرت كلما أضحت عرضة للخطر . أما في الشدائد والفقر فالملاذ الوحيد يكون

للأصدقاء . ويحتاج الصغار إلي الأصدقاء من أجل النصح والتوجيه ، ونطلب نحن الكبار الصداقة لأنها تشبع حاجاتنا ، وتقوم مقام نشاطنا لضعف قوانا. وحتى عندما نكون في أوج قوتنا نحتاج للصداقة لنبلغ أعمالنا النبيلة ذروتها . ويختتم أرسطو هذه الفقرة بقوله " إن الناس بفضل الأصدقاء يكونون الأكثر قدرة على التفكير السديد."[١٨٨]

إذن يحتاج الصغار إلي الصداقة أحتياج الشباب والكبار، بل وتحتاجها المدن بين مواطنيها كمصدر للنظام والاتحاد وهو ما يصون المدن ويحفظ وجودها. وفي "الأخلاق اليوديمية" أكد أرسطو على نفس الأهمية للصداقة في الحياة الإنسانية ذاهباً إلي أن العزلة والخلو من الصداقة أمر شديد الفظاعة ، ولا يمكن تصور حياة إنسانية سعيدة بدون أصدقاء ، إذ أننا على مدى الحياة كلها نعقد ارتباطات صداقة ، فنقضي عمرنا مع عائلتنا وأقاربنا وآباءنا وأطفالنا وزوجاتنا .... الخ .[١٨٩] ويقول أيضا "إننا كأفراد لسنا قادرين على حفظ حياتنا بمفردنا ، فنحن ناقصون ، أما بالنسبة للإله فالأشياء مختلفة ، ولا يتحقق الخير للبشر إلا بالترابط والتلاحم مع الأخرين."[١٩٠] إن أرسطو هنا يدخل الأصدقاء كشرط هام من الشروط الواجب توافرها لتحقيق السعادة في الحياة ، إذ فيما ينفع المرء رغد الحياة إن لم يكن ممدوحاً من أناس يحبونه ويحبهم ، وكيف [illegible] تلك الخيرات إذا لم لم يكن هناك من الأصدقاء من يساعدونه على ذلك؟ جميع البشر متفقون على أن الأصدقاء هم الملاذ الوحيد الذي يمكننا الاعتصام به [illegible] في حالات البؤس ووقت الشدائد.[١٩١]

يؤكد أرسطو على ضرورة الأصدقاء في الحياة من أكثر من زاوية : إذ كيف لنا أن نحرز النجاح بدون مساعدتهم؟ وكيف لنا أن نستمتع به بدون أن يشاركونا هذا الاستمتاع؟ نحن نحتاج إلي نصحهم عندما نكون صغاراً ، وإلي عنايتهم عندما يتقدم بنا العمر ، أما عندما نكون في ريعان الشباب فإنهم يتيحون لنا الفرصة لانجاز الأعمال المجيدة ويساعدوننا على التفكير المتزن المتروى،[١٩٢] كما أن الصداقة تمتن العلاقات الأسرية وتحفظ على المدينة وحدتها. ويحكم أرسطو بالخطأ على رأي هؤلاء الذين يقولون أن سعداء الحظ ليسوا بحاجة إلي الأصدقاء ، لأنهم جهلة ينظرون إلي الأصدقاء في مفردات المنفعة وربما المتعة وحدها.[١٩٣] إضافة إلي أن الصداقة توسع من نطاق قدرات الإنسان العقلية والسلوكية إلي خارج القيود المفروضة بواسطة الطبائع الفردية ، إذ يمكنني مع صديقي أن أمارس قدراً عظيماً من التنوع في كل من الفكر والعمل تماما مثلما يكون بوسعنا معا أن نحقق تأثيراً عظيم القوة و ممتد المفعول على العالم.[١٩٤] وعلى ذلك فإن ما قام به أرسطو من إثبات لحاجة الموجودات البشرية إلي الصداقة إنطلاقا من أوجه القصور في تكويننا السلوكي يبرز طبيعة الصداقة وفي نفس الوقت يتيح ما أعتقد أنه التصور الكامل الدقة لمكانتها في الأنشطة البشرية ، فلا يوجد شيء في هذا يُفسر على أن علاقات الصداقة انحراف عن الخيرية الفطرية للبشر، لأن أوجه القصور التي تجعل الصداقة شيئا حتميا أمور فطرية في الطبيعة البشرية نفسها.[١٩٥]

وقد سبق أن رأينا إجابة أرسطو على سؤال : في أي الحالتين يحتاج الإنسان إلي الأصدقاء في وقت الشدة أم الرخاء؟ بأن الإنسان يحتاج إليهم في الحالتين معا، مما يظهر أن الصداقة شرط اساس لبلوغ المرء السعادة والنشاط الفاضل في هذه الحياة

أكثر من كونها غاية في ذاتها. إن الصداقة حصن ضروري لحياة الجاه والثروة والحرية ، أو قل هي القوة التي تتطلبها الفضيلة كشرط لازم لممارستها ممارسة كاملة ، وهي كوسيلة تتيح الغايات النبيلة للفعل الفاضل.[١٩٦] والواقع أننا لن نفهم قول أرسطو بضرورة الصداقة للحياة إلا داخل السياق الأكبر الخاص برسالة أرسطو الأخلاقية كلها. فإذا كانت السعادة هي خير الإنسان الأسمى الذي يُطلب لذاته ، وأنها لن تتحقق إلا عندما يتحقق الكمال البشري ، وأنه لما كانت الصداقة والميل إلي الاجتماع جزءاً من الفطرة البشرية فلن يكون بوسع شخص أن يبلغ الكمال مالم يكن له أصدقاء طالما أن الصداقة عنصر جوهري من عناصر الطبيعة البشرية.[١٩٧] ويبرز جون كوبر ذلك بقوله" إننا لن يمكننا إلا في رفقة هؤلاء الأفراد أن نشارك ونبدع في الأنشطة بالغة الأهمية لحياتنا ، ومن هنا فلا يمكن لكائن بشري أن يحوز حياة مزدهرة بدون أن يكون لديه أصدقاء قريبين."[١٩٨]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: في اي النواحي يكون نشاط الصداقة جوهرياً في جعل الحياة جديرة بالاختيار؟ وجواب أرسطو أن الاشتراك في الصداقات التي من النوع المناسب والمستهدف من وراءها الغايات المناسبة للحياة ، والنابعة من الدوافع المناسبة نشاط بدونه نادراً ما سوف تبدو الحياة ذات قيمة ، ليس لأن الصداقة تجعلها كذلك ، وإنما لأن كل أنواع النشاط التي تجعلها كذلك لا تكون ممكنة بدون الصداقة . إنها ضرورية لاتاحة امتلاك كل نوع أخر من الخير الملائم الهادف لحياة اي شخص من الأشخاص.[١٩٩] حقا بمقدور بعض البشر النجاح في الحياة بدون الأصدقاء ، ولكن موقف ارسطو العام أنه ليس من السهل أن نحيا بدون الأصدقاء في ضوء قدراتنا المحدودة ، وعجزنا عن تحقيق الاكتفاء الذاتي بأنفسنا. ويُدعم هذا الموقف بأن كلمة الصداقة ــ كما راينا ــ كانت عند أرسطو تغطى مساحة شديدة الاتساع من العلاقات الاجتماعية . وحتى إذا كنا لا نشعر شعوراً قوياً بدور بعض الأفراد المرتبطين بنا ، فانهم يمثلون لنا قوى دعم ومؤازرة خلفية في فترات مختلفة من حياتنا.[٢٠٠]

ننتهي بذلك من استعراض الأسس التي أرساها أرسطو لقيام الصداقة ، ونلاحظ عليها ما لاحظته "بانجلي" من ان تصور أرسطو لضرورة الصداقة اشتمل علي مزيج من ملاحظاته هو الشخصية وتقارير عن الاراء الشائعة المنتشرة في عصره.[٢٠١] دعنا الآن نعرج للحديث عن صور الصداقة عند أرسطو:

رابعاً: صور الصداقة

رأينا من قبل كيف توسع أرسطو في المعنى الذي خلعه في فكرة الأخلاقي على الصداقة ، وكيف أن هذا المعنى كان أوسع بكثير من معناها الذي لدينا اليوم، وقد حتم عليه هذا توسعاً مماثلاً أيضا في أنواع الصداقة التي قصدها .

لقد فصل أرسطو بين فئتين رئيستين للصداقة: فئة الصداقات غير الجوهرية (المجازية) وفئة الصداقة الجوهرية (الحقيقية) ، وكان أساس التمييز بينهما هو الموضوع الذي من اجله تنشأ العلاقة أصلا. فلا شك أن هناك إختلافاً في الغايات والموضوعات المستهدفة من وراء العلاقات التي تربط بين البشر ، وعندما تكون هذه الأهداف المبتغاة مجرد صفات عارضة ووقتية في شخصية الطرف الأخر فهذه صداقات غير جوهرية ، أما إذا كانت صفاتا لصيقة واساسية في شخصية الصديق فهذه هي

الصداقة الحقيقية الجديرة بهذا الإسم.[٢٠٢] ويقول" إن الناس اعتادوا أن يطلقوا وصف الأصدقاء حتى على هؤلاء الذين تكون دوافعهم لهذه العلاقة دوافع المصلحة أو اللذة وحدها ...، غير أنه إذا كان هناك أنواع عديدة من الصداقة ، فإن النوع الأحق والأسمى منها هو صداقة الفضلاء من الناس الذين يصادق الواحد منهم الأخر لأجل كونه خيراً وليس لأي سبب أخر. وإذا كانت الصداقات الأخرى توصف بهذا الاسم فإن هذا لا يكون إلا بالمشابهة فقط للنوع الأول، أن الناس فيها يكونون أصدقاء بدافع شيء ما طيب شبيه بذلك الذي يوجد في الصداقة الحقة.[٢٠٣] وهناك فرق أخر بين النوع الكامل من الصداقة والأنواع الناقصة الأخرى هو أنه في الصداقات الناقصة قد يغدو الأشرار أصدقاء بعضهم البعض ، وقد يغدو الأخيار اصدقاء للأشرار أصدقاء لأجل المصلحة أو اللذة ، لأنهم يكونون ــ كما يقول ارسطو ــ في هذا الجانب يشبه أحدهم الأخر ــ في حين أن صداقة الفضيلة لا تقوم إلا بين الأخيار فقط ، فهؤلاء وحدهم الذين يصبحون أصدقاء لأجل ذواتهم فقط ، ومن ثم يكونون أصدقاء بالمعنى المطلق للكلمة ، في حين أن الأخرين لا يكونون كذلك إلا بالعرض فقط لأنهم يشبهون من بعض الوجوه الأصدقاء الحقيقيين."[٢٠٤] وهناك فارق ثالث أنه إذا كان من الصعب على المرء أن يغدو صديقاً لعدد كبير من الناس في الصداقة الكاملة لأنه ليس ممكناً أن يحب المرء أناساً كثيرين في آن واحد ، فالأمرعلى العكس في صداقات اللذة والمنفعة فمن السهل لعدد كبير من الناس أن يعجبوا دفعة واحدة بنفس الشخص لأن الكثير من الناس يمكن أن يكونوا مفيدين أو مبهجين في وقت واحد بلا تعارض.[٢٠٥] فإذا كان الأصدقاء يرتبطون معاً بفضل شيء ما مشترك بينهم ، فإن هذا الشيء قد يكون مصلحة واحدة مشتركة أو قيمة أو متعة مشتركة ومن هنا تنشأ أنواع الصداقة الثلاث: صداقة المنفعة أو المتعة أو الفضيلة ، فالشيء المشترك في الأولى المنفعة المشتركة ، وفي الثانية المتعة المشتركة ، وفي الثالثة الحب المشترك لما هو فاضل ، أو رغبة مشتركة للارتقاء في سلم الفضيلة ، ورغبة مشتركة في تحقيق كمال الفضيلة عند المرء.[٢٠٦] وقد انشغل أرسطو بهذا التصنيف إنشغالا كبيراً في كتابيه "الأخلاق النيقوماخية" و "الأخلاق اليوديمية" حيث نجده في الأخير منهما يقول بعد أن فرق بين الأنواع الثلاثة للخير "... يترتب على ذلك إذن أن هناك ثلاثة انواع من الصداقة ، ولا تسمى بهذا الاسم لكونها ترتد جميعاً إلي فئة واحدة ، أو كأنواع لجنس واحد."[٢٠٧] ووأكد نفس التقسيم في الأخلاق النيقوماخية.[٢٠٨] ومع أن أرسطو في نص اليوديمية السابق أكد على أن الأنواع الثلاثة للصداقة ليست أنواعاً لجنس واحد ، فلا شك أن حب إمرئ ما لكونه فاضلاً يعني حبه لسبب مختلف تماماً عن السبب الذي يجعلنا نحبه لكونه مفيداً أو ممتعا لنا ، رغم ذلك فإنه من الخطأ بشكل مساوي الاعتقاد فيها على أنها خالية من اي رابط مشترك ، أو أن الكلمة غامضة هنا. إن موقف أرسطو هنا أن استعمالات الصداقة لا تكون ببساطة بمعنى واحد هنا وفي الوقت نفسه لا تكون بمعنى مختلف إختلافاً جذرياً، بل هي متقاربة في نقطة جوهرية ، هناك شيء مشترك بين حب شخص من أجل صلاحه وبين حبه لأجل كونه ممتعاً.[٢٠٩] إن الأنواع الناقصة تشبه الصداقة الكاملة في حيازتها لبعض من خصائصها بقدر يزيد وينقص ، كما أن الصداقة الكاملة تحمل للداخلين فيها متعة ومنفعة في رأي أرسطو كما سوف نرى.

إنها جميعا مشتركة في نقطة أساسية " وذلك لأن كل هذه الاستخدمات للفظ مرتبطة بنوع جزئي من الصداقة ارتباطاً وثيقاً ، في حين أن الصداقة الأساسية هي ما يحتويها التعريف ضمنياً في التعريف الخاص بالكل."[٢١٠]

نستطيع أن نستخلص من كلام أرسطو السابق أن لديه صورتين للصداقة: الصداقات الناقصة (صداقة اللذة وصداقة المصلحة) والصداقة الكاملة (صداقة الفضيلة) علاوة على أنه اعتقد أن الحالة المتوسطة والتي بالقياس إليها ينبغي أن نُفهم الأنواع الأخرى هي الصداقة القائمة على الفضيلة. ومن الواضح أن موضوعات الصداقة : الفضيلة والمنفعة والمتعة تترتب ترتيباً تنازلياً من أعلى إلي أسفل وفقاً لوضعها المختلف في الشخص الذي يمثل الصديق.[٢١١] فإذا تسألنا عن العلاقة بين صور الصداقة المختلفة وجدنا أن أرسطو في "الأخلاق اليوديمية" ينكر أن يكون لها جنساً عاماً إذ لا يُطلق على هذه الأنواع الثلاثة اسم صداقة لأنها تخص جنس واحد عام ، أو على أنها أنواع متدرجة اسفل جنس عام واحد ، وفي نفس الوقت لم تحوز هذا الاسم بمجرد المصادفة العارضة ، لأنها جميعاً يُتحدث عنها بالقياس إلي إحداها والذي يكون في الأفضلية صداقة الفضيلة.[٢١٢] ويعلق بيرس على هذا النص بأنه أكثر منطقية عن النظرية الواردة في "الأخلاق النيقوماخية" حول العلاقة بين أنواع الصداقة الثلاثة ، فليس هناك جنس عام لهذه الصداقات لأن أرسطو يؤكد على أنه لا يوجد في تلك الأشياء التي فيها أول وتالي أي شيء عام مشترك أعلى فوقها جميعاً ومنفصلاً عنها ، لأنه لو كان هناك مثل هذا الشيء سوف يكون هناك شيء أعم من الشيء الأول، ولما كانت أنواع الصداقة يوجد بينها أول وأني فلا يوجد جنس عام للصداقة عند أرسطو.[٢١٣] وسوف نتحدث عن هاتين الصورتين للصداقة بشيء من التفصيل :

١- الصداقات الناقصة

تشمل تلك العلاقات التي تنشب بين البشر ويكون الأساس الذي تقوم عليه هو المنفعة أو اللذة التي يتم جنيها من العلاقة. ومن ثم فهي صداقات تقوم اعتماداً على صفات عرضية ووقتية في الإنسان ، ولكونها كذلك فهي صداقات عابرة وسريعة الانفراط. وهي تستحق وصف صداقة عند أرسطو لأن الصداقات الكاملة ــ كما سوف نرى ــ تحقق متعاً ومنافع لكل طرف من الطرفين ، ومن ثم فهناك مبرر للإستمرار في متابعة العرف اللغوي فنسمي أي علاقة يتم الدخول فيها لأجل مجرد واحدة من هذه الطيبات اسم صداقة ، ومن ثم تستحق الصداقات القائمة على المنفعة وحدها أو المتعة وحدها أن توصف بأنها صداقات لأن هاتين الخاصيتين توجدان في الصداقات الكاملة.[٢١٤] لذلك يقول أرسطو "إن النوع الأساس من الصداقة هو الوحيد الذي يكون صداقة حقة ، ومن ناحية أخرى كل الأنواع الأخرى تكون كذلك فهي حائزة لإسم واحد مشترك كهذا بالصدفة ، وتكون على علاقة عارضة فقط الواحدة منها بالأخرى."[٢١٥] ويقول ايضا " من المؤكد أن الصداقة القائمة على المنفعة هي الصداقة الشائعة بين معظم الناس كبار السن ، حيث يحب الواحد منهم الأخر لكونه مفيداً له، ويظل كذلك طالما ظل الطرف الأخر بهذا الوصف ، أما الصداقة القائمة على المتعة فتشيع بين الشباب لأن لديهم حساسية واهتمام بما يكون ممتعاً ، وهي سريعة التغير،

وذلك لأنه لما كانت شخصياتهم تتغير بتغير عمرهم فإن تذوقهم للمتعة يتغير أيضا."[٢١٦] فلا يكون الحب في هذه الصداقات متجها للآخر من أجل ذاته وإنما لأجل تحقيق كسب من وراء هذه العلاقة ، أو لأجل ما يكون خيراً شخصياً لأنفسهم أو سارا لأنفسهم ، وفي الحالتين ــ كما يرى أرسطو ــ لا يُحب الإنسان من أجل ذاته ، وبالتالي فهذه ليست سوى صداقات عرضية.[٢١٧] وعندما يصف أرسطو هذه العلاقات بأنها "صداقات ناقصة" كان يرتكز في ذلك ضمنياً على مسلمات كانت سائدة بشكل واسع في عصره حول ما الذي يجعل علاقة مرضية ، فهذه الصداقات صداقات ضعيفة وليس لها حق كبير في أن توصف بأنها صداقات لأن الأفراد الداخلين فيها لا يحمل الواحد منهم ثقة كبيرة في الأخر ، ويدخلون في خصام غالباً ، بل وعلى أتم الاستعداد لقطع ارتباطاتهم بشكل مفاجئ.[٢١٨] وإذا كانت الصداقات الناقصة تُعد صداقات لتشابهها مع صداقة الفضيلة فإن هذا التشابه مجرد تشابه جزئي فحسب ، فلا الصداقات الأولى دائمة ، ولا هي تتطلب فترة اختبار واعداد تمهيدية لكي يعرف أحدهما الأخر ، بل أن أصدقاء المنفعة حتى لا يميلون إلي أن يقضوا أوقاتهم معا ، فمن الممكن للمرء أن يكون لديه الكثير من الأصدقاء من هذه الأنواع ، في حين لا يمكن أن يكون لديه سوى أقل القليل من أصدقاء الفضيلة.[٢١٩]

أكد أرسطو على أن صداقة المنفعة تقوم أيسر ما تقوم بين المتنافرين ، مثل تلك التي بين الفقير والغني ، الجاهل والعالم ، وذلك لأن المرء كما يقول يجد في طلب ما ينقصه بشكل فعلي ، ويتنازل عن شيء لديه في مقابل ذلك ، ومن الممكن أن يُدرج أسفل هذه الفئة صداقة المحب للمحبوب والجميل للقبيح.[٢٢٠] لذلك فإن الصفة الأولي للصداقات الناقصة صفة أنها سريعة التغير وعرضة للإنهيار بسهولة ، ويشرح أرسطو هذه الصفة بتفصيل كبير في "الأخلاق النيقوماخية" مؤكداً على أنه من السهل أن تنفصم عرى هذه الصداقات عندما لا يظل الطرفان على حالهما ، أو عندما لا يعد أحدهما نافعاً أو جالباً للسرور للأخر ، هنا يتوقف الحب من الأخر ، إذ لما كان النافع شيئاً غير ثابت بل دائم التغير ، فإنه عندما يزول يختفي سبب ودافع الصداقة لأن الصداقة لا توجد إلا عند وجود الغايات التي كونتها. .. وذلك لأنهما لا يشعر كلاهما بالرضى عن الأخر إلا بقدر ما يكون لهما من الأمل في أن يحقق أحدهما لنفسه فائدة ما من الأخر.[٢٢١] يقول " عندما يحدث وتولي سنوات الجمال تولي معها الصداقات أيضا .. إن أولئك الذين يتبادلون المنفعة أو اللذة في علاقاتهم الغرامية لا تعمر صداقتهم طويلاً ، وتكون أقل إخلاصاً ، إذ تفتر صداقتهم عندما تنتهي المصلحة ، وذلك لأنهم لا يحب أحدهما الأخر حقاً وإنما يحبون المنفعة أو المصلحة فقط."[٢٢٢] ومن ثم فالصداقات الناقصة سريعة الإنحلال لأنه فيها يكون مطلوباً من طرفي العلاقة أن يبذلوا أكثر مما يتوقع منهم أن تعطيه نوعية شخصياتهم ، كما أن مما ينهي العلاقة أن أصدقاء المصلحة يميلون إلي معاملة كل اسهامات الطرف الأخر على أنها هبات مجانية لهم ، في حين ينظرون إلي عطاياهم هم أنفسهم على أنها دين دائم ، وكذلك تنتهي العلاقة لاختلاف التقديرات المتوقعة من وراءها لدى الطرفين نتيجة لاختلاف شخصياتهم وهو اختلاف سوف يجعل استمرار العلاقة مسألة صعبة أو مستحيلة.[٢٢٣] والسبب وراء ذلك يكمن في طبيعة الحياة نفسها فحاجاتنا فيها عرضة للتغير مع الزمن ، إذ تجد حاجات

جديدة وتستمر حاجات ملحة وتضعف بعد ذلك ، فما يكون مفيداً لنا لا يظل واحداً أبداً بل يتغير مع تغير الأزمان، ومن ثم فعندما تزول العلة التي تقف وراء كونهم أصدقاء تزول الصداقة بدورها.[٢٢٤]

والصفة الثانية لهذه الصداقات أنها صداقات أنانية ، فكل طرف فيها لا يكون مهتماً إلا بخيره هو الخاص وحده ، ومن ثم يغيب عنهم الاهتمام المنزه عن الغرضية الذي ينسبه أرسطو إلي الأصدقاء الحقيقيين.[٢٢٥] لذلك قال عن العلاقات الغرامية وهي فئة من صداقات المتعة " لا يحب الواحد منهما الأخر ، وإنما يحب سماته العرضية ، أي يحب ما يمنحه المتعة."[٢٢٦] والأمر بالمثل في صداقات المصلحة "إن هؤلاء الذين يكونون أصدقاء من أجل المصلحة وحدها يتلاشي كونهم كذلك في نفس اللحظة التي تنتهي عندها المصلحة ، وذلك لأنهم لم يكونوا أصدقاء الواحد منهما للأخر ، وإنما اصدقاء لما ينفع أنفسهم فحسب."[٢٢٧] فعندما تقوم بيننا صداقة مصلحة فإنني للاسف لا أحبك بل أحب نفسي ، وعندما أوثق هذه العلاقة فلا يكون ذلك حباً فيك وإنما حب لما يكون مناسباً لي، ولكي أدفعك إلي تقديم هذا الذي يكون مفيداً لي أقدم لك شيئا مفيداً لك فاساعدك على حب نفسك أنت أيضا ، فالأنانية هنا متبادلة بيننا.[٢٢٨] لذلك فهذا النوع من الصداقة لا يتم إلا بين أناس أنانيين أنانية كاملة لا يهتمون سوى بما سوف يجنونه من وراء العلاقة ، يقدم كل واحد منهما الخير للأخر ــ وربما يدفع ثمناً عالاً ــ ولكن الدافع الذي دفعه إلي ذلك لا يكون سوى الرغبة في الحصول على الأشياء الطيبة لنفسه ، وبالتالى يتخذا شكل الدائن والمدين.[٢٢٩]

وهنا نسأل هل الصداقات الناقصة تُحرك بفعل البحث وراء المصلحة الشخصية لدرجة أنها لا يمكن أن تُعد صداقات أبداً؟ الواقع أن هذه كانت إشكالية كبيرة في تصور أرسطو للصداقة اثارت اختلاف الشراح حول موقفه النهائي خاصة وأنه أحياناً ما يكون لدينا هذا الانطباع ، وتعريفه السابق للصداقة تضمن أنها ليست في الصداقة الكاملة وحدها بل وايضا في الصداقات القائمة على المتعة أو المنفعة يتمنى الصديق سعادة صديقه من أجل ذات هذا الصديق ، وأحيانا ما يكون أرسطو لدينا شعوراً بالعكس عندما يقابل مراراً بين هذين النوعين الفرعيين من الصداقة وبين النوع الأساس لها بالتأكيد على أنانية أصدقاء المتعة والمنفعة ، الأمر الذي دفع كلا من "ديفيد آلان" و"وليم هاردي" إلي اتهام تصور أرسطو باللاغرضية Disinterestedness والتضارب وعدم الاتساق.[٢٣٠] غير ان "جون كوبر" لا يرضى عن هذا التفسير للصداقات الناقصة على انها صداقات أنانية خالصة ، ورأى أنها ليست كذلك بشكل كامل ، بل خليط معقد وذكي من الأنانية ومن تمنى الخير الإيثاري المحايد وتقديم هذا الخير للأخر.[٢٣١] والأسباب التي دفعته إلي ذلك الموقف المخالف لموقف كل شراح أرسطوهي: أنه لو كان أرسطو قد اعتنق الراي الذاهب إلي أن كاملي الفضيلة هم وحدهم القادرون على تشييد الصداقة الكاملة ، وأن كل الصداقات الأخرى غير ذلك صداقات أنانية لكان متبعاً في ذلك رأياً عظيم التشدد ، لأن كاملي الفضيلة قلة قليلة جداً من البشر مما سوف يترتب عليه أن معظم الناس بما في ذلك كل قراء أرسطو سيكونون عاجزين عن الصداقة الكاملة وهي نتيجة محزنة ، وسوف تكون بالنظر إلي اتجاه أرسطو العام المجامل للحس المشترك لدى العامة مدعاة للدهشة على

الأقل في مسألة غياب المبررات العامة الدافعة إلي الإتجاه الأخر.[٢٣٢] ثانيا أن أرسطو اشترط أصلا أن الأصدقاء ــ بلا تحديد لنوع هذه الصداقة ــ ينبغي أن يتمنى الخير أحدهما للأخر ويعمل على تحقيقه ، وكذلك أن يعرف كل واحد منهما أن الطرف الأخر يفعل ذلك من أجله هو وحده.[٢٣٣] ولا ينبغي أن يُفهم هنا أن أرسطو قصد من ذلك أن صديق المنفعة سوف يتمنى الخير لصديقه من أجل أن يستمر صديقه في تقديم النفع له ، أو يغدو في وضع أفضل لإفادته ، وذلك لوجود تعارض بين تمنى الخير لأجل شخص أخر من أجل ذاته بشكل خالص وبين تمنيه له من أجل منفعة المتمنى الشخصية. وانتهى كوبر إلي التأكيد على أن تمنى الخير القائم في صداقات المنفعة والمتعة تمنى خالص من الغرضية.[٢٣٤] ومن ثم فإن السبب الحقيقي وراء النية الطيبة غير المغرضة في الصداقات الناقصة مكانزيم نفسي علي، إذ أن أولئك الذين تمتع الصحبة المشتركة بينهما الواحد منهما الأخر سوف يميل كل واحد منهما نتيجة للمنافع أو المتع التي يتلقيانها إلي أن يتمنى خير الطرف الأخر ويسلك من أجل تحقيق ذلك بشكل آلي دون اعتبار لسعادتهم هم الشخصية ، ويشكل هذا الميكانزيم نوعاً من الغيرية الطبيعية لأنه يعمل بشكل تلقائي ، أي أنه لايتضمن أي عمل متعمد.[٢٣٥]

وتتفق "تانسي شيرمان" مع جون كوبر في هذه النظرة ، فرغم تسليمها بأن آراء أرسطو الشخصية في هذه النقطة متباينة عبر الكتابات المختلفة فإنها تؤكد على انه يبدو مقبولاً التأكيد على أنه بينما يمكن أن تكون المصلحة هي التي تربط الأفراد معا بشكل مشترك ، وأنهم ارتبطو معاً في البداية بهذا الشكل ، فإن الواحد منهم يظل يتمنى الخير للأخر من أجل ذواتهم الشخصية وليس من أجل منفعة شخصية له.[٢٣٦] كما يتفق "بول جون واديل" و"مرثا نوسباوم" مع جون كوبر في رأيه مؤكدان على أن الصداقات الناقصة ليست نوعية استغلالية من الصداقة بشكل خالص.[٢٣٧] في حين اعترض كارل ألبيرن على تفسير جون كوبر السابق مؤكداً على أن النوع الوحيد من الصداقة الذي يظهر فيه الأصدقاء اهتماماً منزهاً من الغرضية الواحد منهما بالأخر هو صداقة الفضيلة ، في حين يُعتقد أن الخلو من الغرضية يغيب تماما عن النوعين الأخرين من الصداقة ، إنها لا تتضمن اهتماماً منزهاً عن الغرضية.[٢٣٨] خاصة وأن هناك الكثير من النصوص في الأخلاق النيقوماخية تتعارض مع تفسير جون كوبر السابق . والرأي الذي نميل نحن إليه هو أن معالجة أرسطو للصداقات الناقصة الواردة في "الأخلاق النيقوماخية" يختلف اختلافاً يسيراً عن معالجته لها في "الأخلاق اليوديمية" وأن جون كوبر ومن ذهب مذهبه عندما تحدث عن موقفه السابق كان يضع في الاعتبار فقط "الأخلاق النيقوماخية" في حين أن معارضيه كانوا يعتمدون على "الأخلاق اليوديمية" فلا تعارض إذن بين الموقفين لأن موقف كوبر يعبر في حقيقة الأمر عن مرحلة متأخرة من مراحل تطور أرسطو الفكرية ، في حين أن رأي معارضيه يعبر عن مرحلة مبكرة من حياته . فإذا كانت نظرة أرسطو في "اليوديمية" إلي الصداقات الناقصة أنها مصلحية قلباً وقالباً فقد عاد وعدل من موقفه فيما بعد في "الأخلاق النيقوماخية" وأدخل عنصر اللاغرضية فيها ، ولما كان "الأخلاق اليوديمية" متقدماً في الزمن على "الأخلاق النيقوماخية" فلا تعارض بين الموقفين إذن.[٢٣٩]

في حين أن الصفة الثالثة لهذه الصداقات أنها تنتشر ليس بين البشر وحدهم بل وبين الحيوانات الدنيا ، فالمنفعة المتبادلة تحدث بين الحيوانات الأدنى من البشر ، كما تحدث بين البشر من ناحية وبين الحيوانات الأليفة من ناحية اخرى ، وبين الحيوانات بعضها البعض مثل ما ذكره هيرودوت من صداقة بين التمساح وطائر الزمار.[٢٤٠] أما الصفة الرابعة فهي أن هذه الصداقات هيَ العلاقات الوحيدة التي تنتشر بين الأشرار من البشر، بل وحتى بين الأطفال والحيوانات ، إذ أن الأشرار ــ في رأيه ــ من الممكن أن يكونوا أصدقاء الواحد منهم للأخر بإملاء الدوافع الخاصة بالمنفعة والمتعة .. فالواحد منهم يتحمل الأخر من أجل المتعة أو المنفعة.[٢٤١] يقول "وعلى ذلك من الممكن أن يغدو ــ لأجل البحث وراء اللذة أو المنفعة ــ حتى الأشرار أصدقاء الواحد منهم للأخر ، بل من الممكن أن تقوم صداقة لأجل ذلك بين الأخيار والأشرار .. ولكن الحقيقة الواضحة تماماً أن الأخيار هم وحدهم الذين يكونون أصدقاء حقاً ، وذلك لأن الأشرار لا يحب أحدهم الأخر دون أن تكون هناك مصلحة تعود من هذه العلاقة."[٢٤٢]وقال في "الأخلاق اليوديمية" "تقع أنواع الصداقات الأخرى (الناقصة) حتى بين الأطفال والحيوانات والأشرار من البشر ، ومن هنا جاءت الأقوال المأثورة: البيض الفاسد يتجمع معا، تجمع المنفعة الأشرار معا."[٢٤٣]

والسمة الخامسة أن هذه الصداقات عرضة للخصام وبشكل أساسي لأشكال الخلاف حول قيمة ما يُقدم وقيمة ما يتم تلقيه ، فصداقات المنفعة عرضة للإتهامات ، وذلك لأن هؤلاء الأصدقاء يتعامل الواحد منهم مع الأخر بناءً على توقع الفوائد المكتسبة ، ومن ثم فإنهم دائما ما يطلبون المزيد ، ويعتقدون أن ما يتلقونه هو اقل ما ينبغي ، ويزدرون الطرف الأخر لأنهم تلقوا منه أقل ما يطلبون ويستحقون ، وأولئك الذين يهبون الفوائد لا يمكن أن يلبون دائماً مطالب الطالبين.[٢٤٤] والسمة السادسة أن هذه الصداقات شديدة المحدودية في روابطها وعلاقاتها شديدة الضيق والتقييد.[٢٤٥] أما السمة السابعة والأخيرة فهي أن علاقة المنفعة والمتعة تتضمن تبادلية ، إذ لا يكون الأطراف فيها غرباء تمام الغربة ، بل توجد بينهم معرفة متبادلة كما أن كل واحد منهما يتمنى الخير بعض الشيء للأخر ، يتمنى الواحد منهم توفيق الأخر في تنفيذ العدالة وأن يحيا عادلاً حتى يضمن أن يجني ثمار ما قدمه له من نفع من قبل.

لكن لئن كان أرسطو قد وضع صداقة المنفعة والمتعة في سلة واحدة واصفاً إياها بالصداقة الناقصة ، فإن هذا لا يعني أن أرسطو لم يلحظ وجود عدة اختلافات بين النوعين في السمات ، حيث أكد على أن صداقة المتعة أكثر شبها بالصداقة الحقة (صداقة الفضيلة) من صداقة المنفعة.[٢٤٦]إننا حالما نرى الأهمية الخاصة بالمتعة التي توجد في صداقة الفضيلة نفهم في الحال السبب الذي يجعل أرسطو يضع صداقة المتعة في مثل هذا المستوى السامي نسبياً . لأن المتعة التي هي الأساس لمثل هذه الصداقة هي المتعة التي يجدها الأصدقاء إثناء عملية الاجتماع معا . إذ حتى رغم أن علاقة صديق المتعة للأخر لا تكون متجهة إلي شخصية الأخر الفاضلة ، إلا أنها تبدو مع ذلك اشد قرباً من هذا النموذج من الارتباط عن صداقة المنفعة كما ترى بانجلي.[٢٤٧] وقد أكد أرسطو نفسه على قرب اللذة من الصداقة الحقة وذلك لأن فيها يحصل كلا الطرفين على نفس الأشياء الواحد منهما من الأخر ، وتسرهما معا نفس الأشياء ... كما أن

أولئك النفر من الناس المفترض فيهم أنهم سعداء لا يحتاجون إلي الأصدقاء الجالبين للمنفعة ، بل إلي المحققين للإشارح والسرور.[٢٤٨]

وهنا نسأل عن أهم الفروق بين الصداقات الناقصة والصداقة الكاملة؟ إن هناك حدوداً تحد الخير المستهدف من وراء الصداقة الناقصة لا تسري على الخير المستهدف من الصداقة الكاملة ، حدود في الكمية ، ففي الأولي لا يساعد المرء الأخر إلا بالقدر الذي يساعده به الأخر ، وحدود في النوع فلا يعطي كل واحد منهما إلا ما يماثل ما يتلقاه من الأخر عكس الصداقة الكاملة بما فيها من سخاء ، واختلاف في الدوافع وراء العلاقة فلا يكون صديق المنفعة شخصية سخية كريمة كرماً خالصاً رغم أنه لا يكون أنانياً حتى النخاع ، لإنه يستهدف خير الأخر لأنه يرى الاعتدال والانصاف عملا طيباً. وهناك اختلاف في النتائج إذ يستهدف صديق المنفعة جني الثمار الكثيرة وقد لا يشغل نفسه بآثارها على حياة المتقبل بوجه عام. باختصار الرابط الذي يربط الأصدقاء في الصداقات الناقصة رابط سطحي وليس متيناً ، فمن المحتمل إلا تشغل الأطراف أنفسها كثيراً هنا بالسمات الشخصية للطرف الأخر ، كل ما يعرفه الواحد عن الأخر هو المشاريع والطموحات ، في حين قد لا يعرف الكثير عن نفسه.[٢٤٩]

ويؤكد أرسطو على أن نوعي الصداقة الناقصة قد يقوما بين بعض الأصدقاء المتساوين ، أو بين الأطراف المتفاوتة في الدرجة فيكون بعض الأصدقاء في حالة سمو أحدهما على الأخر. فإذا كان الأمر كذلك فمن المحتم أن المتساوين يحققان المساواة المثالية المطلوبة اعتماداً على المساواة في الحب ، وفي كل الجوانب الأخرى ، في حين أن غير المتساوين من المحتم أنهما لا يقدمان من حب أوفائدة إلا بما يتناسب مع سموهما أو نقصه.[٢٥٠] لكن صداقة المنفعة تزيد على صداقة المتعة أنها أحياناً ما تقوم بين أشخاص عادلين بالمعنى الأتم للعدالة ، وتكون بالتالي بينهم تبادلية ، أذ لا تكون الأطراف هنا غرباء بعضهم عن بعض، بل توجد بينهم معرفة متبادلة كما أن كل واحد منهما يتمنى الخير بعض الشيء للأخر ، ويتمنى الواحد منهما توفيق الأخر في تنفيذ العدالة ، وأن يحيا عادلاً . لكن كل هذه المزايا تختفي عندما تقوم صداقة المنفعة بين أناس أنانيين أنانية مفرطة لا يهتمون سوى بما سوف يجنونه من وراء العلاقة.[٢٥١] لذلك فإن أرسطو رغم تأكيده السابق على إمتناع قيام الصداقة بين الأضداد نراه هنا يتراجع بعض الشيء عن هذا الرأي فيسمح في "الأخلاق اليوديمية" بإمكانية أن يكون الأضداد اصدقاء بعضهم لبعض من خلال المنفعة فقط ، لذلك يحتاج السيد إلي العبد ، والعبد إلي السيد ، والزوج إلي الزوجة ، ويكون النقيض ممتعا ومرغوباً فيه بوصفه مفيداً وليس لكونه غاية في ذاته ، وغنما كوسيلة تقود إليها.[٢٥٢]

وينتقل ارسطو بعد ذلك إلي بيان طبيعة الخلافات التي قد تنشب بين الأصدقاء، فيؤكد على أنها لا تظهر في الصداقة الحقة القائمة على الفضيلة لأنها صداقة تقوم في المحل الأول على فعل الخير. والسبب أن هذه الصداقة تقوم وتترسخ أصلا من أجل الفضيلة ، ومن ثم يكون هناك تزاحم على الخدمة المتبادلة ، والذي يقضي بشكل ناجح وتام على اي إحساس بالظلم لدى الطرفين. كما لا تحدث شكاوي في صداقة المتعة لأنها إما أن تشبع اللذة أو لا تشبعها ، وفي الحالة الثانية تنقطع العلاقة تلقائياً. وتنحصر الشكاوي في النوع القائم على المنفعة من الصداقة لحرص كل طرف على أن

يأخذ أكثر مما يعطي.[٢٥٣] والسبب في أن صداقات اللذة لا تشهد هذه الشكاوي أن كلا الطرفين يحصلان على ما يرغبان في ذات الوقت ، وذلك عندما يعيشان معا مستمتعين بقضاء الوقت معا. بل وحتى لو حدث واشتكى أحدهما من أن الآخر لا يقدم له اللذة فسوف يبدو ذلك مثيراً للسخرية طالما أن في استطاعته أن يضع حداً لهذه المعيشة معه متى شاء.[٢٥٤]

أما في الصداقة القائمة لأجل المنفعة وحدها فمن المستحيل ألا يشتكي كل طرف من الطرفين من الظلم والإجحاف عندما يفشل في الوصول إلي ما يبحث عنه ، أو عندما يقدم خدمة ولا يحصل في المقابل على ثمن معادل لها ، ويصدق الأمر نفسه على الصداقات التي تقوم بين غير المتساويين.[٢٥٥] والسبب الرئيس في كثرة الشكاوي في صداقات المنفعة هو أنه لما كان كل طرف من الطرفين الداخلين في الصداقة هنا يستغل الأخر لتحقيق مصالحه الخاصة فإنه دائما ما يريد كل طرف منهما الحصول على النصيب الأفضل في الصفقة ، كما يعتقد كل طرف أنه قد حصل على اقل ما كان ينبغي له أن يحصل عليه ، ويكون قلقاً لأنه لم يحصل على أقصى ما كان يتمنى – حتى رغم أنه قد يكون هو النصيب الذي يستحقه.[٢٥٦] أما بين غير المتكافئين فتقع الخلافات عندما يكون أحد الطرفين أرفع من الأخر من حيث الفضيلة أو النفع ، فيشعر كل طرف أنه يستحق أكثر مما أخذ. مقدم الخدمة يشعر أن ما يحصل عليه لا يتناسب مع خدماته ، ومن ثم يعتبر الصداقة هنا استغلالاً ، وفي المقابل يشعر الطرف الأقل مكانة ونفعاً بالسخط حيث يشعر أن تقديم العون والخدمة له والتضحية من أجله واجب على صديقه ما دام ذلك بمقدوره. يرفع الصديقان هنا إذن حقوقاً متعارضة حيث يركز أولهما على سموه و يركز الآخر على حاجته ، ويصارع كل واحد منهما من أجل الحصول على النصيب الأوفر من الصداقة ، وكلا الطرفان على صواب.[٢٥٧] والمعيار الذي ينبغي أن يسود هنا هو التوسط ، إذ من الأصلح للجاف – كما يقول – ألا يصبح رطباً ، بل أن يصل إلي درجة الاعتدال ، ويصدق الأمر نفسه على الحار وعلى كل الحالات الأخرى.[٢٥٨] ومن المحتمل أن ما كان يقصده أرسطو هنا – كما يرى هذي – هو أن مثل هذه الصداقات تعتمد على تبادل المنافع بشكل مشابه للصفقات التجارية ، ومن هنا فإنها تستهدف وسطاً مشابه للوسط في العدالة التجارية. وقد ذهب أرسطو نفسه إلى ذلك بقوله "ويبدو – على أية حال – أن لكل طرف من الطرفين الحق في دعواه ، وأن كل طرف منهما ينبغي أن يحصل من الصداقة على أكثر مما يحصل عليه الطرف الأخر. ولكن ليس من الشيء نفسه ، فالأنبل يكون له حظ أكثر من الشرف ، في حين يكون للأدنى النصيب الأكبر من المنفعة، لأن الشرف الجائزة التي تُعطى للفضيلة، والمنفعة هي المعونة المطلوبة للقضاء على العوز."[٢٥٩]

وهناك أنواع أخرى ذكرها أرسطو للصداقة الناقصة غير الصداقة القائمة لأجل المنفعة أو المتعة مثل الصداقة المدنية The Civic Friendship، والصداقة بين غير المتكافئين ، وهي علاقات مشابهة للصداقة بالمعنى البعيد لها. فالصداقة المدنية هي الرفقة التي تحتضن في داخلها كل العلاقات الأخرى في المدينة ، الرفقة السياسية أو الإجتماع المدني، وهي تماثل العدالة تماما، ويؤكد أرسطو في تصوره لصداقة المدنية على انها المنفعة المشتركة التي يجنيها أعضاء المجتمع المدني من ورائه

وهي الغاية التي يُشيد المجتمع المدنى ويستمر في البقاء من أجلها. لذلك فإن الشيء الجوهري لمثل هذا المجتمع هو أن يسعى إلي تحقيق ما هو مطلوب بواسطة أعضاءه لأجل استمرارية وبقاء حيواتهم.[٢٦٠] ويحدد "جون كوبر" الأساس الذي تقوم عليه الصداقة المدنية بأنه تذوق كل مواطن في المدينة للمنفعة ، والتوقع المستمر من جانبه للحصول عليها بشكل مشترك مع الأخرين من عملية العضوية في المجتمع المدني . لذلك توجد الصداقة المدنية حيثما يكون المواطنون الرفاق يعرف الواحد منهم الأخر معرفة مشتركة ، ويحب الواحد منهما الأخر ، ويتمنى كل مواطن الخير للأخرين ، ويود أن يشارك في توفير النافع لهم من أجل ذواتهم نتيجة وعيه بأنه هو نفسه سوف يُفاد بشكل مطرد من أفعال الأخرين حتى من أفعال هؤلاء الذين تكون معرفته بهم بالكاد.[٢٦١] إن هذه الصداقة تقوم في المدن المنظمة تنظيماً جيداً وبشكل طبيعي ، فيها سوف تكون منافع الحياة واضحة لكل إمرئ، حيث يدرك أن المنافع التي يجنيها هي الثمرة المباشرة العائدة من الجهود المتضافرة لرفاقه من المواطنين ، وسوف يصل بعد أن يفطن إلي ذلك إلي مستوى أن يتمنى لهم الخير ، وأن يشارك في دعم مصالح المجتمع من خلال قيامه بنصيبه. وهكذا تبدو عاطفة الصداقة المدنية الثمرة الطبيعية العائدة من تذوق واحترام العمل المطرد لمجتمع مدني منظم تنظيماً دقيقاً.[٢٦٢]

وهذه الصداقة عظيمة الأهمية لنظرية أرسطو السياسية والأخلاقية على السواء. إذ بفضل غرزها النزوع إلي التصرف بطريقة فاضلة نحو الأخرين بوصفهم الأطراف التي تشارك المرء الحياة الإجتماعية من أجل تحقيق المصلحة المشتركة لهم جميعا إنطلاقاً من الحب ومن الإرادة البريئة للخير ــ تغدو مكملاً ضرورياً للفضائل نفسها ، طالما أن المرء لن يصل إلي التلاحم القوي والوجداني مع الأخرين ، والذي يحتاجه ليغدو شخصا أخلاقياً بشكل كامل وتام إلا فحسب من خلالها.[٢٦٣] كما أن الصداقة المدنية مكوناً أساسياً من مكونات الحياة الإنسانية الراقية ، إذ يحتاج من أجل الارتقاء بالمرء إلي الكثير من صور الفضائل الأخلاقية الأمر الذي لا يمكن أن يتم بدون الصداقة المدينة. إنها صداقة منفعة خالصة، وهي نوعان: نوع غير مكتوب (أخلاقي) وأخر مكتوب (قانوني). يقول أرسطو عن هذا النوع الأخير أنه نوع تجاري بحت قائم على أساس صفقة فورية مباشرة. وهي الصداقة التي تقوم في الصفقات التجارية ، فهي صداقة قانونية نفعية. وهناك سمتان تحددان هذه العلاقة هما: يتم وضع مفردات المقايضة في كل مرة تتم فيها الصفقة ، كما أن عملية العطاء والأخذ تتم بشكل حر وإرادي.[٢٦٤] حقا قد يكون غريباً أن توصف هذه العلاقة بوصف صداقة ولكنها تحمل تشابهاً ــ في حقيقة الأمر بها ــ ففيها قدر من التعاون بين الطرفين ، وقابلية للتطور لتصبح علاقة متينة. فتصبح صداقة منفعة متحررة من النمط القانوني ، فبينما لا تزال مفردات المقايضة قائمة في مطلع كل صفقة فإن الدفع هو الذي يمكن أن يُرجئ هنا وهذا الإرجاء عنصر من عناصر الصداقة ، لأن عنصر الثقة هنا تم التوسع فيه بشكل مدروس.[٢٦٥] في حين أن النوع الأكثر تسامحاً منه هو الأخلاقي ، حيث يكون لوقت محدد وتحت شرط الحصول على مقابل معين ، إذ أن نوع الدين في هذه الحالة يكون واضحاً تمام الوضوح وليس محلاً لأي خلاف ، ولكن نوع الأجل الذي يُعطى هنا يشتمل على عنصر من المحبة لأحد الطرفين إلي الأخر.[٢٦٦] إن النوع الأخلاقي من

صداقة المنفعة لا يتم على أسس ثابتة ، ولكن يقدم المرء هنا هبة أو يفعل أقصى ما يمكن فعله لصديقه ، لكنه في الوقت نفسه يتوقع أكثر من ذلك بكثير منه ، وكأنه لم يهب هبة بل أقرض ديناً على حد وصف أرسطو.[٢٦٧] وتترك مسألة تقدير حجم المديونية للتقدير الشخصي ، فالاسهامات الفردية والمكافآت المقابلة لها تظل غير متعينة تعيناً مسبقاً ، بل وفي مرحلة متقدمه من هذه الصداقة من الممكن أن تصبح الصفقات بالصورة التي لا يكون فيها تطابق واضح بين الاسهامات المقدمة والمكافآت المقابلة لها . وقد تصبح الاسهامات لا تشكل ديناً ، ولا التعويضات التي تسدد هذه الديون قد لا تُعد بعد أمراً قابلاً للتمييز بينها. وهي مرحلة راقية من هذه العلاقة يصبح فيها الطرفان ولديهما رصيد مشترك من الموارد ولديهم الحرية في الغرف منه ، ولن يعودا آنذاك تجاراً مستقلين يساوم الواحد منهما الأخر، بل شركاء في خندق واحد يساومان معا وبشكل مشترك دفاعاً عن أهدافهما أمام أطراف أخرى ثالثة.[٢٦٨]

وهذه الصداقة صورة فرعية من الصداقة القائمة على صور الفهم المشترك للخير، ومن ثم فالاختلاف يشكل تهديداً للروابط المدنية مثلما يكون للروابط الشخصية. ويتطلب استقرار المجتمع إلي جانب العدالة أيضا أن يحفظ المواطنون مبادئ العدالة المجسدة في نظامهم وتربط الواحد منها بالأخر اعتماداً على هذا الفهم المشترك.[٢٦٩] لذلك شدد أرسطو على أن مهمة السياسي الماهر أن يكون راعياً للصداقة بين المواطنين والتي تتطلب بدورها تجسيد الاتفاق في الرأي بينهم حول معاني العدالة والصداقة أو (التوافق) مما يضمن أن تلقى القرارات المتخذة بواسطة المؤسسات التنفيذية قبولاً عاماً ، ويتحقق سمو مشترك للمواطنين إلي جانب اتفاقهم حول صورة الحياة الفاضلة ككل.[٢٧٠] ومن ثم ينبغي على المشرعين أن يقيموا توازناً إجتماعياً بين الأغنياء والفقراء ، بين الأغلبية والأقلية ، وأن يغرزوا فهما متناغماً للخير العام ، ويحاربوا الخلاف والشقاق باعتباره العدو الأسوأ لهم. لكننا نسجل هنا أن موقف أرسطو من الصداقة المدينة موقف شابه الغموض ، ففي كتابه "الأخلاق اليوديمية" نجده يعتبرها نوعاً من صداقة المنفعة ، في حين أنه في "السياسة" في الكتاب الثالث يؤكد على أنها نوع من صداقة الفضيلة الحاسمة في التمرين على الحياة السعيدة.[٢٧١]

تحدث أرسطو حديثاً مطولاً عن الصداقات التي تقوم بين غير المتكافئين في الدرجة سواء من حيث درجة الفضيلة أو درجة المنفعة أو درجة المصلحة المتحصل عليها. وإن كان أرسطو قد اشترط درجة معقولة من التفاوت لكي تقوم الصداقة ، أما إذا كان التفاوت صارخاً عظيماً فلا يمكن للصداقة أن تقوم بين الطرفين أبداً ، ويبرز هذا بروزاً عظيماً في حالة الآلهة لأنهم يفوقوننا بشكل لا يمكن تصوره في كل الطيبات ، وهو واضح ايضا في حالة الملوك حيث نجد أن العامة ــ والذين هم أدنى منهم بكثير ــ لا يحلمون حتى بأن يكونوا أصدقاء لهم.[٢٧٢]

وتأتي الصداقات الأسرية على رأس هذه الصداقات التي تقوم بين غير المتكافئين، وهناك خمسة أشكال للصداقات الأسرية تحدث عنها أرسطو : صداقة الأباء للابناء والعكس ، وعلاقة الأخوة بعضهم ببعض ، وعلاقة الزوج بزوجه ، ثم علاقة رب البيت بالعبد . وكل هذه العلاقات تعتمد على المحبة الأبوية والتي تقوم بدورها على مبدأ الامتلاك أو الاختصاص يقول " تعتمد كل حالة فيما يظهر على الصداقة الأبوية لأن

الأباء يحبون أبنائهم كجزء منهم ، ويحب الأبناء آبائهم باعتبارهم شيئاً نابعاً منهم "منحدراً منهم" وإن يكن الآباء يعلمون بأن ذريتهم قد جاءت منهم أفضل من معرفة هؤلاء الابناء أنهم أطفال لهم ، ويشعر الأباء بذلك في زمن مبكر بكثير عن ذلك الذي يشعر فيه الأبناء بنفس الشعور ... ومن ثم يحب الأباء أطفالهم كحبهم أنفسهم ، في حين يحب الأطفال آبائهم باعتبارهم مولودون منهم. ويحب الأخوة كل واحد منهم الأخر لأنهم ينحدرون من نفس الوالدين ، ونظراً لاشتراكهم في نفس الوالدين ، فإن هذا يجعلهم متماثلين الواحد منهم مع الأخر ، لهذا يقال : دم واحد."[٢٧٣] هنا نرى أرسطو يشخص الشرط الخاص بأن الصديق "ملك للمرء" في المفردات الخاصة بالأسرة حقاً يعتمد أرسطو هنا بعض الشيء على الروابط البيولوجية ، لكن الشيء الهام هنا هو الاحساس بالانتماء بين الوالد والطفل ، حيث يشبه هذا الشعور شبهاً كبيراً ذلك الانتماء بين الفنان وصنعته ، ففي كلتا الحالتين يكون الصناع ميالين بشكل عاطفي لما صنعاه بأنفسهم ويمثل الانتماء هنا مودة تنتج عن إبداع منتج.[٢٧٤] !!وفي "الأخلاق اليوديمية" وضع أرسطو الصداقات الأسرية بجملتها تحت فئة الصداقة المدنية القائمة على مبدأ المنفعة وليس الملكية مثلما فعل في "الأخلاق النيقوماخية" يقول " يشبه البيت نوعاً من الصداقة ، والواقع أن علاقة السيد بالعبد هي علاقة الفنان بأدواته والنفس بجسمها .. أما صداقة الزوج بزوجته فهي صداقة قائمة على المنفعة ، وشراكة الأب بالابن تماثل الشراكة بين الإله والإنسان ، والمحسن بالمحسن إليه ، وبوجه عام شراكة الحاكم الطبيعي بالمحكومين الطبيعين ، أما علاقة الأخوة أحدهم مع الأخر فهي بشكل واضح علاقة الأنداد ، طالما أنها تقوم على مبدأ المساواة .. إننا في البيت نجد المصادر والمنابع الأولى للصداقة ، وللنظام السياسي للعدالة."[٢٧٥]

والمتأمل للنصوص السابقة من كتابي أرسطو يجد أن أرسطو رغم إقامته العلاقات الأسرية في "النيقوماخية" على مبدأ الامتلاك والخصوصية ، وفي "اليوديمية" على مبدأ المنفعة فإن المبدأين يقودان في النهاية إلي الأنانية ، وأنه حتى في اسس العلاقات لا يمكن التخلص من بذور الأنانية ، فهذا الحب الذي نبديه حتى في العلاقات التي تربطنا بالأسرة يكشف عن علاقة شديدة الخصوصية بأنفسنا ، فحتى الحب الأبوي والأمومي يكون قائما ارتباط بحب الذات.[٢٧٦] وخير مثال لهذه الأنانية أنه رغم اشارة أرسطو كثيراً إلي الحب الذي تقدمه الأم على أنه مثال للإخلاص غير الأناني، فإنه يشير إلي أن الأم تحب طفلها أكثر من حب الأب له بسبب وجود معرفة مباشرة لديها أقوى بأن هذا الطفل يخصها."[٢٧٧] فحتى حب الأم الشديد لإبنها يعود عنده لعامل أناني ، إن هناك رباطاً أكثر فردية في عملية الولادة نفسها ، وفي الاعتقاد الأكثر مباشرة منه بأن الطفل ملكها الشخصي . وهكذا أكد أرسطو على العنصر الأناني ، أو الاهتمام بالمصلحة الذاتية حتى في الحالة النموذجية للحب الإيثاري.[٢٧٨] والعامل الثاني لكون حب الأم لأطفالها أشد من حب الأب لهم الذي ذكره أرسطو هو عامل أناني أيضا : أنه التعب الشديد أكثر من الأب في الحمل والولادة والتربية ، فالأم مرتبطة بيولوجياً أكثر بأطفالها ، يقول "منح الميلاد للأطفال عمل شديد الشقاء مما يجعل المودة أعظم وأسمى ، طالما أن كل إمرئ يحب الأشياء التي أوجدها بفضل العرق والجهد أكثر من أي شيء أخر فعلى سبيل المثال : هؤلاء الذين اجتهدوا وتعبوا في جمع أموالهم

نجدهم يحبون المال أكثر من حب هؤلاء الذين كسبوا هذا المال بالميراث وحدهم ، ولهذه الأسباب فإن الإمهات يحبون أطفالهن أكثر من حب الأباء."[٢٧٩]

فإذا كانت جهود الوالدين لا تتوقف في الانتاج عند حد انجاب الأطفال وإخراجهم إلي هذا العالم ، بل تمتد إلي عملية تربيتهم وتنشئتهم ، فإن أرسطو يؤكد على أن الاخلاص للأسرة أكثر أهمية من الاخلاص لصديق مقرب ــ طالما أن حميمية العلاقة تكون أعظم في الأول. إنه يتخذ إلتزاماتنا العائلية مأخذاً شديد الجبرية ، وأعتبر عقوق أحد الوالدين جريمة خطيرة ، وإذا تحتم على إمرئ في موقف الآختيار بين مساعدة والد ومساعدة شخص ما قدم له خدمة جليلة في الماضى سوف يسلك حتما بما فيه مصلحة والده ــ إذ لم يكن بوسعه أن يساعد الإثنين معا.[٢٨٠] بل ويتطرف ارسطو في "الأخلاق النيقوماخية" في هذا الصدد فيقرن صداقة الأبناء بوالديهم بحب البشر للألهة "لأنه حب لهم باعتبارهم شيء سامي وفاضل ، ولأنهم أيضا منحوا أسمى النعم ، ولأنهم هم العلل في وجودنا وفي طعامنا وفي تربيتنا منذ لحظة الميلاد."[٢٨١]أما صداقة الأخوة بعضهم لبعض فتعتمد عند أرسطو إلي جانب الخصوصية والانتماء إلي أصل واحد ــ على الاشتراك في تلقى تربية واحدة يقول " من السهل على إثنين من نفس العمر أن يصبحا على وفاق فيما بينهما، كما أن الذين تربوا معا تربية مشتركة يصيرون رفقاء، ومن هنا فإن الصداقة التي تقوم بين الأخوة شبيهة بتلك التي تقوم بين الرفاق، كما أن ابناء العمومة والأقارب يرتبطون معاً لأنهم جاءوا من الأخوة ، أي لكونهم إنحدروا من نفس الآباء ، ويصير الرباط الذي يربط بينهم أشد وثوقاً وفقا لدرجة القرب أو البعد من الجد المشترك."[٢٨٢]

كان الزواج عند أرسطو ــ عكس أستاذه أفلاطون ــ نوعاً هاماً من الصداقة ، فقد اعترف بوجود نوع من الصداقة بين الزوج وزوجه ولكنه مثال لما يسميه الصداقة بين غير المتكافئين لأن المساواة التي تتطلبها هذه الصداقة مساواة تناسبية تعويضية وليست حسابية هنا . فهذه الصداقة تتحقق عندما يتلقى الطرف الأسمى حباً أكثر مما يمنح ، وعندما توجد المساواة التعويضية هذه من الممكن أن تقوم في الصداقة الكاملة بين الزوجين ،أما علاقة العشق الغرامي بين عاشقين من غير زواج فهي علاقة صداقة لكنها ليست صداقة كاملة قائمة على السمات الفاضلة في شخصية المحبوب، وإنما قائمة على الشهوة.[٢٨٣] فحتى رغم تسليم أرسطو بأن علاقة الصداقة بين الزوج والزوجة نوع من فئة صداقة الفضيلة يصر على عقيدته الأساسية في دنائة مكانة المرأة قياساً إلي الرجل فيؤكد على انها صداقة بين غير المتساوين لإيمان أرسطو بأن الرجال بوصفهم كذلك اسمى فضيلة من النساء ، لذلك فالصداقة التي تقوم بين الرجل السامي بشكل مطلق والمرأة السامية بشكل مطلق ، ويعترف كل طرف منهما بأن الأخر كذلك سوف تكون صداقة غير متكافئة مع ذلك.[٢٨٤] ويقيم أرسطو علاقة الصداقة الزوجية ــ إن جاز التعبير ــ على اساس فطرى. حيث تبدو الصداقة بين الزوج وزوجه تقوم بالطبيعة ، إذ يُفطر الإنسان على تكوين ثنائية زوجية بالطبيعة ربما أكثر من ميله إلي تكوين المدن ، وهو أمر مشترك بين البشر والحيوان ، ولكن بينما نجد الاتحاد عند الحيوان لا يمتد إلي ما هو ابعد من التناسل ، لا يجتمع البشر معاً من أجل التناسل فقط وإنما لأجل تحقيق غايات الحياة المتنوعة ، لأن الوظائف تنقسم منذ بداية

الوجود وتختلف وظيفة الرجل عن وظيفة المرأة ، لذلك يساعد الواحد منهما الأخر من خلال إلقاء هباتهما الشخصية في بوتقة واحدة مشتركة.[٢٨٥] لهذا تظهر المتعة والمنفعة في علاقة الصداقة الزوجية هذه، وإن كان لا ينكر إمكانية قيام هذه الصداقة على الفضيلة عندما يكون الطرفان فاضلين ، وذلك لأن لكل منهما فضيلته الخاصة ، وسوف يسعدان بذلك سعادة بالغة ، كما أن الأطفال من الواضح أنهم يشكلون رباطاً يوثق الاتحاد بين الإثنين.[٢٨٦]

أما عن علاقة السيد بالعبد فإن أرسطو بعد أن أنكر إمكانية قيام صداقة بين السيد والعبد بوصفه عبداً لأن العبد بوصفه عبداً ليس سوى مجرد أداة حية ، ومع شيء كهذا لا يمكن أن توجد أرض مشتركة ، فلا يمكن أن توجد صداقة بين صانع وأدواته ، أو بين إله وبشره ، فلا يوجد اهتمام مشترك بين الطرفين بخير الأخر من أجل ذاته ، ولا ينظر الطرفان الواحد منهما إلي الأخر كغاية في ذاته. عاد واباح إمكانية أن تقوم صداقة معه بوصفه إنساناً ، وذلك لأنه من الممكن أن توجد فكرة للعدالة بين أفراد يشاركون بعض المشاركة في القانون أو التوافق.[٢٨٧] ويحاول البرهنة على ذلك بمحاولة إثبات وجود مصلحة مشتركة بينهما ، ورغبة كل طرف منهما في نفع الأخر ، معتمداً على قاعدة أن ما يكون نافعاً للكل يكون كذلك للجزء ، وعلى مقولة أن العبد جزء من سيده ، لتدعيم دعوى وجود تطابق في المصلحة وصداقة متبادلة بين السيد والعبد بالحد الذي يجعله يؤدي المهام المطلوبة منه على أحسن صوره ، ويهتم العبد بمصلحة سيده لأن في رفاهية سيده وسموه رفاهية له لأنه جزء منه.[٢٨٨] ولاشك أن أرسطو في إقراره هذا بإمكانية قيام صداقة بين السادة والعبيد كان مفكراً ثورياً تجديدياً في عصر كان يضع السادة في مكانة لا يمكن أن يقترب منها العبيد ابداً.[٢٨٩]

هنا يعن لنا السؤال التالي: في الصداقات التي تقوم بين غير المتكافئيين كيف يمكن للطرف الأدني أن يكافئ الطرف الأسمى على ما يهبه له من عطايا ؟؟ وكان الحل الذي قدمه أرسطو هو أن الطرف الأدنى يرد بأن يحب الطرف الأسمى أكثر من كونه هو الذي يُحب بما يتناسب مع سمو ورفعة صديقه ، ولا يعني الحب هنا التصرف المحسن الفعال المقدم بواسطة الصديق الأسمى ، طالما أن الطرف الأدنى لو كان بإمكانه فعل ذلك ما عاد هو الأدنى ، وإنما يعنى أن الأدنى يشعر بعاطفة أعظم، ويعبر عن هذه العاطفة في عملية اعجاب وتبجيل لا حدود لها للطرف الأسمى. وعلى ذلك يتفاوت الحب وفقاً لمركز كل طرف، فمثلاً ينبغي أن يُحب الأفضل بدرجة أكبر من درجة حب الأفضل للأدنى. وكذلك يُحب أكثر الإنسان الأكثر نفعاً ، ونفس الشيء في كل حالة من الحالات الأخرى ، ومن ثم فعندما يكون الحب متناسباً مع جدارة كل طرف تتحقق المساواة والتي نعلم أنها الشرط الأساس للصداقة.[٢٩٠] يقول "هذه هي الطريقة التي ينبغي أن يصادق بها هؤلاء غير المتساويين ، فهذا الذي يُفاد ويُخدم فيما يتعلق بالمال أو الفضيلة ينبغي أن يقدم الشرف والاكبار مقابل ذلك رداً للجميل بأقصى ما في وسعه وذلك لأن الصداقة تحتم على المرء أن يقدم أقصى ما في وسعه ، لا أن يقدم ما يكون مناسباً لجدارات الحالة ــ طالما أنه توجد أحوال كثيرة يعجز المرء أن يؤدي فيها ما يجب عليه على وجه الكمال."[٢٩١] ولكن "بانجلي" ترى أن تقديم عاطفة أعظم لا يمكن أن يكافئ التفاوت في الصداقات غير المتكافئة بشكل جوهري مثل تلك التي بين الأب

والإبن، أو القائد السياسي ومواطنيه. بل وتنكر أن يكون بامكان الطرف الأدني أن يكافئ الأسمى المكافأة التي تليق بسموه ، أو يقدم مقابلاً عادلاً للفوائد التي يتلقاها."[٢٩٢]

ثم أقام أرسطو موازنة بين اشكال الحكم المختلفة وما يقابلها من صور فاسدة وبين العلاقات الأسرية وفقا لمبدأ أرسطو "ليست كل صور الاتحاد والترابط سوى أجزاء من الاجتماع السياسي وتتشابه الصور الجزئية من الصداقة مع صور المجتمعات الجزئية." فهناك علاقة وثيقة بين المشاركات المختلفة في الصداقة وبين اشكال العدالة فمن الواضح أن كل المشاركات ليست سوى أجزاء في الشراكة الخاصة بالدولة..."[٢٩٣] فقرر أنه من الممكن للمرء أن يلتمس تشابهاً بين نظم الحكم المختلفة وبين صور الصداقة المختلفة ، فاجتماع الأب بأبنائه فيه شكل الملكية لأن الأب يعنى بشئون أولاده اعتناء الملك بشئون رعيته ، أما اجتماع الزوج بالزوجة ففيه صورة الحكومة الأرستقراطية ، واجتماع الأخوة يمثل الحكومة التيموقراطية لأنهم متساوون .. أما الديمقراطية فتقوم في العائلات التي لا يحكمها سيد لأن الجميع هنا متساوين ، وأيضا في العائلات التي يكون فيها رب الأسرة شديد الضعف بحيث يترك لكل واحد القدرة على أن يفعل كل ما يريد."[٢٩٤]

ومع أن أرسطو ساوى ــ في بعض النصوص ــ بين الصداقة والعدالة حيث قال "من الواضح أن الصداقة والعدالة ينصبان على نفس الموضوعات ، وتتجسدان في الأشخاص حيث يُعتقد أن في كل مجتمع توجد صورة من صور العدالة والصداقة معاً." وقال أيضا "إن المدى الذي تبلغه الرفقة بينهم هو نفسه المدى الذي يكون لصداقتهم ، والذي يتحد حسب المدى الذي نوجه به العدالة بينهم."[٢٩٥] رغم ذلك فإنه عاد وأكد على أن هناك اختلافاً عظيماً بين الصداقة والعدالة من حيث صفة المساواة، حيث أن المساواة النسبية سائدة في الثانية ، أما المساواة التامة المطلقة فهي تسود في الأولي. فوجود فارق كبير في المستوى يمنع الصداقة مع المرء الأسمى ، ويمنع قيامها خاصة مع الآلهة.[٢٩٦] ومع ذلك فهناك حالات يتم فيها الاستغناء عن المساواة في الصداقة كما في حالة المتملقين الذين يدينون أنفسهم ويلصقونها بالأرض أمام أصحاب النفوذ فيعطون الفرصة للطرف الأخر في تعامله معهم أن يكون في موضع الأسمى عنهم ، كما أن البشر غالبا ما يفضلون أن يكونوا في موضع المرضي عنهم أكثر من أن يكونوا في موضع حب في علاقاتهم بذوي النفوذ مثلا.[٢٩٧]

هناك تمنى للخير للشخص الأخر من أجل ذاته في الصداقات الناقصة عند أرسطو ولكن هذا التمنى مقيد هنا بالمدى والدرجة التي يظل بها هذا الشخص الأخر من نوعية معينة ، أو يظل بها مفيداً وممتعاً ، ومن ثم يُقيد الخير الذي يتمنى المرء له أن يكسبه من أجل ذاته بما يمكن أن يكسبه هو من وراء هذا الأخر من منفعة أو متعة . ولكن مع أن المرء يتمنى له الخير من اجل ذاته هنا إلا أنه لا يتمناه ناجحاً بطريقة أو مستوى لا يعد المرء بعده بقادر على جني المتعة أو المنافع التي سبق أن جناها من الارتباط به.[٢٩٨] ويصدق هذا على كل أنواع الصداقات ، يصدق على التاجر الذي يغدو صديقا في كل مرة مع كل زبون دائم التردد عليه إنطلاقاً من الارتباط العائد بالفائدة المشتركة بينهما ، ويصدق على علاقة الزوج بزوجته. فتمنى الخير عندما يمتد لفترة طويلة في السياق العام للقابلية للإفادة يتحول إلي شيء أصيل وثابت . ومن ثم فإن

المرء يجد هنا بين يديه ــ كما يقول جون كوبر ــ مزيجاً معقداً أو محبوكاً من تمنى الخير وفعله من أجل المصلحة الذاتية ، ومن تمنيه وفعله من أجل دوافع إيثارية.[٢٩٩]

أخيرا يناقش أرسطو مسألة ترتيب الأولويات في علاقة الصداقة تحت مسمى "الاختيار في الصداقة" فنجده يطرح أسئلة من قبيل: هل يتعين على المرء أن يؤثر رد الجميل إلي صاحب فضل عليه على أن يساعد صديقاً له في شدة عندما يعجز عن الوفاء بالاثنين معا؟ هل يتعين عليه أن يساعد أبيه أم يساعد صديقاً له في شدة؟ ويجيب أرسطو أن مثل هذه الأسئلة من الصعب أن يُجاب عليها إجابة دقيقة لأنها تعتمد على العديد من الاحتمالات من مختلف الأنواع فيما يتعلق بكل من حجم الخدمة ونبلها ولزومها من عدمه. وإن كان يضع قواعد عامة هنا هي أولا: أنه يتعين علينا تقديم عملية رد الجميل على مسألة مساعدة الأصدقاء . ثانيا: يجب تقديم رد الدين على تقديم مساعدة مالية لصديق في شدة. ثالثا: ينبغي أن يُقدم تخليص الوالد على تخليص صاحب جميل عليك. والقاعدة العامة أن المرء ينبغي أن يؤدي ما عليه من دين، ولكن في الحالة التي يكون البذل فيها للغير نبيلاً بشكل عظيم أو ضرورياً بشكل هائل ، يجب على المرء أن يفضله لهذه الاعتبارات.[٣٠٠]لكن أرسطو استدرك في قاعدته العامة قائلا : ولكن لا ينبغي في كل الحالات أن نرد الجميل إلي كل إمرئ أحسن إلينا، ولا أن نفضل والدنا دائما في كل شيء ، فمثلا لا يتعين على الإنسان الفاضل أن يقرض شخصا أخر محتالاً سبق أن اقترض منه الفاضل مالاً قائلاً أنه بذلك يرد الجميل ، لأنه يعرف معرفة أكيدة أنه إمرئ مماطل ، في حين كان الشخص المحتال يعرف في المرة الأولي معرفة يقينية أن دينه سوف يعود إليه لثقته في أمانة الرجل الفاضل.[٣٠١]

٢- الصداقة الكاملة

أولى أرسطو اهتماماً كبيراً بهذه الصداقة إحساساً منه بأنها تمثل قمة اشكال الصداقة وأرفعها شأناً ، بل هي الصداقة الحقة التي تستحق بحق هذا الإسم. وقد اطلق عليها وصف "الصداقة الأولي"πρώτη φιλία في كتابه المبكر في الأخلاق وهو "الأخلاق اليوديمية" في حين كان يسميها "الصداقة الكاملة" في كتابه المتأخر في الزمن "الأخلاق النيقوماخية". وعادة ما يشير أرسطو إليها بعبارة "إنها صداقة البشر الأخيار والمتماثلين في الفضيلة."[٣٠٢] أو "الصداقة التي تقوم بين الأخيار من الناس."[٣٠٣] ووصفها بأنها "كاملة":[٣٠٤] إنها تتضمن وعياً مشتركاً بالفضيلة لدى الطرفين. يقول "الصداقة الكاملة هي صداقة الفاضلين من الناس والمتماثلين في الفضيلة لأن هؤلاء يريدون الخير بعضهم للبعض الأخر من جهة أنهم أخيار ، ويكونون أخياراً في ذواتهم. وعلى ذلك فإن أولئك الذين يتمنون الخير لأصدقائهم من أجل ذواتهم هم الأصدقاء حقاً، وذلك لأنهم يفعلون ذلك إنطلاقاً من طبيعتهم الذاتية وليس بشكل مصادف ، ومن ثم تمتد صداقتهم في الزمن إمتداد كونهم أخياراً، والخيرية شيء متين وباق."[٣٠٥]

قصد أرسطو بالصداقة الكاملة الصداقة بالمعنى الذي نفهمها نحن اليوم بهذا المفهوم، حيث قصد بها تلك العلاقة التي تنشأ بين الأخيار من الناس لكونهما وافيين في أنفسهما فإنهما يحملان الوفاء كل واحد منهما نحو الأخر ، وقد عبر أرسطو بشكل بالغ الحيوية عن ذلك بقوله "يكون الأخيار من الناس ودودين كلاهما مع أنفسهما ،

ودودين الواحد منهما للأخر ، وذلك لكونهما يطلبان نفس الأشياء ، وعلى نقيض ذلك الأشرار ، إذ أن لديهم (بسبب الشر) نفسا ممزقة بالوهم."[٣٠٦] أما عن السبب الذي جعل أرسطو يصف صداقة الفضيلة بأنها الصداقة الكاملة فهو أنها تجسد كل الصفات والخصائص التي يتوقع المرء بشكل عقلاني أن تشتمله الصداقة تجسيداً كاملاً ، أو كل الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الأصدقاء. فهي تشتمل على عملية تمنى الخير للطرف الأخر من أجل ذاته لكون الصديق فاضلاً في ذاته ، وهي لا تبرز فقط تبادلاً مقصوداً من الطرفين للحب وتمنى الخير ، بل وتبادلاً مقصوداً منهما لاختيار كل واحد منهما للأخر يقول "عندما يكون نشاط الصداقة متماثلاً في اختيار متبادل ــ مصحوباً بالمتعة ــ لمعرفة الواحد منهما للأخر ، فمن الواضح أن الصداقة من النوع الأصلي هي بوجه عام اختيار متبادل من الطرفين للأشياء التي تكون خيرة وسارة لكونها كذلك."[٣٠٧] كما أنها تتضمن أيضا منفعة ومتعة ، إذ يقول أرسطو "إن كل واحد من الصديقين خير بشكل كامل ، وهو خير في حق صديقه لأن الأخيار أخيار في ذواتهم وفي الوقت ذاته نافعون بعضهم للبعض ، كما أنهم يكونون أيضا ممتعين أحدهما للأخر في ذات الوقت ، طالما أن أفعال كل واحد منهما نحو الأخر ، وكذلك الأفعال المناظرة لها تكون أفعالاً ممتعة وأفعال الأخيار متماثلة."[٣٠٨] وأكد نفس الرأي في "الأخلاق اليوديمية"."[٣٠٩] ويبدو أن أرسطو في وصفه للأطراف الداخلة في مثل هذه الصداقة بأنهم "فاضلين" ووصف صداقتهم بأنها "كاملة" يعني أن البشر الكاملين في الفضيلة ، الأبطال في العقل والشخصية هم وحدهم القادرين على إقامة صداقة من هذا النوع الجوهري ، ومن ثم سوف يترتب على ذلك أن العاديين من الناس ذوي الامتزاج الشائع لبعض السمات الطيبة ببعض السمات السيئة في شخصيتهم ليسوا شركاء جديرين بالصداقات من هذا النوع.[٣١٠]

ثم يعمل أرسطو بعد ذلك على تحديد خصائص هذا النوع الكامل من الصداقة ، فيقرر أن <u>الخاصية الأولى</u> لها أنها دائمة البقاء والاستمرار طالما أنها تحتوي في داخلها على كل الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الأصدقاء. يقول "هذه إذن الصداقة الحقة والتي يعترف بها الناس جميعاً ، وعلى أساسها تُعد الأنواع الأخرى صداقة ، وهي شيء ثابت ومستمر ، إنها الصداقة الوحيدة الراسخة المستمرة ، لأن الحكم المشكل لها حكم راسخ وثابت."[٣١١] والسبب في أن صداقات الفضيلة ارتباطات دائمة ومستمرة أكثر بكثير من صداقات المتعة أو المنفعة أن السمات الفاضلة للشخصية التي تقوم عليها الأولي سمات ثابتة ، أو تقريباً تكون كذلك حالما يتم إكتسابها إكتساباً كاملاً لأول مرة ، لأن هذه السمات تنتمي إلي طبيعة المرء الجوهرية كموجود بشر، في حين أن الأمر على النقيض في الاستمتاع والانتفاع ، إذ نظراً لكونها صفات عرضية في الإنسان ومعتمدة على الظروف تكون الأمور عرضة للتقلب والتغير.[٣١٢]

<u>والخاصية الثانية</u> أنها تُقام على تشابه قوي بين الطرفين وهو تشابه قائم في فطرة الأصدقاء أنفسهم ، وبفضله توجد الصداقة أصلا. وفي هذا النوع من الصداقة تكون الملامح الأخرى متشابهة بين الصديقين.[٣١٣] إنه لما كانت هذه الصداقة تُقام بفضل خيرية الطرفين ، ويسعي الطرفان فيها نحو الخير ، فإنها تتطلب قدراً من التشابه في الاهتمامات ، وقدراً من الاتفاق في الأشياء المستحبة ، والأشياء المكروهة وعلى وجه

الخصوص اتفاق حول ما يعتقد المرء أنه يكون هاماً.[٣١٤] والخاصية الثالثة: أنها لا تقوم إلا بين الأخيار من البشر وحدهم على عكس صور الصداقة الناقصة التي قد توجد بين الحيوانات الأدنى ، إذ لما كانت الصداقة الكاملة هي تبادل مشترك للحب والهدف ، وذلك لأن موضوع الحب يكون عزيزاً على مانحه ، كما أن مانح الحب نفسه يكون عزيزاً على الموضوع ، وبالتالي فلا تقع هذه الصداقة إلا بين البشر لأن الإنسان هو وحده الذي يفهم ويعي الهدف.[٣١٥] بل وليس البشر جميعا فلا يكون ذلك إلا بمقدور الفاضلين من البشر وحدهم ، والسبب أن الصديق الفاضل "أخلاقيا" يشكل شيئا طيباً للإنسان الفاضل بالمعنى الكامل للكلمة ، أي أنه شيء ما مرغوب "بشكل حقيقي" أو مرغوب "بالطبيعة" كنقيض مقابل للصديق "المفيد" والذي لا يكون شيئاً طيباً لشخص ما إلا بقدر ما يكون الأخير محتاجاً لشيء منه.[٣١٦]

والخاصية الرابعة أن هذه الصداقة غير ممكنة القيام إلا وسط مجموعة صغيرة من الناس في حين يمكن للمرء أن يرى النوعين الأخرين من الصداقة يقومان بين أعداد غفيرة من الناس.[٣١٧] والسبب في ذلك أنها علاقة روحية باطنية ، ومعرفة شخصية حميمة ، فلا تكون ممكنة إلا مع قلة فقط في وقت متزامن.[٣١٨] يقول أرسطو "يجب أن يكون هناك عدد محدود من الأصدقاء ، وإن شئت التقريب قلت أن هذا العدد محدد بعدد الأشخاص الذين يمكن للمرء أن يعيش وإياهم عيشة مشتركة دون أن يشتت نفسه معهم، ولا يجد مشقة في أن يقضي الوقت معهم ، أو في أن يشاركهم مشاركة وجدانية في فرحهم وحزنهم .[٣١٩] أما الخاصية الخامسة فهي أن هذه الصداقة لا يمكن أن تُعقد بشكل سريع لأن الصديق ينبغي أن يختبر من خلال المخالطة الطويلة قبل أن يمكن الوثوق فيه.[٣٢٠] يقول في "الأخلاق اليوديمية" "لن تنون هناك صداقة راسخة بلا ثقة ، ولن تأتي الثقة إلا مع الوقت، ويتطلب هذا إجراء أختبار للشخص إذ كما يقال "لن تعرف عقل الرجل أو المرأة قبل ان تختبرهما كما تختبر الماشية" أما هؤلاء الذين يصبحون أصدقاء بسرعة دون اختبار الزمن فلا يكونون أصدقاء حقيقين كما أن تمنى الصداقة ليس هو الصداقة تماما مثلما لا يكون تمنى الصحة الصحة نفسها. والصداقة التي تقوم بلا اختبار منذ البداية من السهل أن تنهار، في حين لا ينفصل الناس بسهولة في العلاقات التي يسمحون لأنفسهم فيها بأن يختبروا أحدهم الأخر."[٣٢١]

وتأتي الخاصية السادسة وتتمثل في أن صداقة الأخيار هي وحدها أقوى حصن ــ كما قال أرسطو ــ من الممكن أن يحمى من النميمة ، إذ في ظلها لا يكون من السهل تصديق مزاعم أي شخص عن إنسان قد تم إختباره زمناً طويلاً إذ تقوم في الصداقة الحقة التي بين الأخيار الثقة ، والشعور بأن الأخر "لن" يؤذي على الاطلاق ، ولديه كل الصفات الحميدة الأخرى ، في حين لاشيء في الصداقات الأخرى يمنع أن تقوم مثل هذه الشرور.[٣٢٢] وأخيرا فإن الخاصية السابعة للصداقة الكاملة فهي أنها صداقة إيثارية بشكل خالص ، فإذا كانت الصداقات الناقصة ذات صبغة أنانية بالغة ، فإن صداقة الفضيلة صداقة منزهة عن الغرضية الرخيصة، إذ فيها يحب الصديق صديقه كغاية في ذاته ويسعى في طلب سعادة صديقه أو خيره كغاية مرغوبة لذاتها.[٣٢٣] وإن كان "جون كوبر" لا ينكر وجود مسحة من السعي وراء المصلحة الذاتية في صداقات الفضيلة ، وإن تكن بدرجة أقل جدا عن درجة وجودها في الصداقات الناقصة. حقا

يتمنى صديق الفضيلة الخير لصديقه من أجل ذاته وبإيثارية خالصة لكنه قد يجني — أو يتوقع أن يجني — من وراء ذلك متعة ومنفعة، وهذه لمحة ذاتية.[٣٢٤]

والصداقات التي تقوم من اجل الفضيلة هي أكثر الصداقات عمقاً وأعظمها دواماً لأنها تقام على توافق في الفضيلة وتماثل في الخيرية . لذلك كان من اللازم أن تُوصف هذه الصداقة بأنها الحب الأسمى نبلاً والأعظم عمقاً ، لأن حب الصديقين فيها يكون لأعظم الأمور شرفاً وهو "الخير المطلق" وللمظهر الذي يتجسد به هذا الخير في الأخر. كما أن هذه الصداقة تمثل المعيار النموذجي الأسمى للصداقة لما فيها من توحيد بين ما يكون محبوباً وبين الشخص الذي يحب ، توحيد بين الخير المستهدف والشخص المجسد له ، ولما كانت الصداقات روابط من الرغبة المشتركة في الخير، فإن في صداقة الفضيلة يتحقق هذا على أفضل ما يكون لأن كل طرف من الصديقين يشارك في نفس الفضيلة ، والسعي وراء خير الأخر هو إنعاش وتعزيز لخير المرء الشخصي.[٣٢٥] فيها يحترم الأصدقاء إستقلالية كل واحد منهم ، وأن له حياته ونظرته المستقلة ، ويجدان متعة في اجتماعهما معاً بشكل اساسي لكونهما الأشخاص الذين هم عليها. أما نفع الأخر في تحقيق غاية مرغوبة فليس هو الأساس للعلاقة.[٣٢٦] يقول "الصداقة اختيار متبادل من طرفين مصحوباً بمتعة لديهما تعود على كل واحد منهما من صحبة الأخر ، ومن ثم من الواضح أن الصداقة من النوع الأساسي هنا اختيار متبادل للاشياء الفاضلة والممتعة بشكل مطلق ، ولما كانت الصداقة نوع من الحب ، والحب نشاط وحيوية ، ولما كان كونك تحب بحيوية هو أن تعامل المحبوب كذات وغاية ، فإن الصديق ينبغي أن يعامل كغاية في ذاته ، .. يترتب على ذلك أنه لو لم يجد المتعة فيه كإنسان فاضل فلن تكون هذه هي الصداقة الأساسية.[٣٢٧]

وهنا نسأل :هل ينبغي أن تقوم هذه الصداقة الكاملة بين المتساويين في الفضيلة أم بين المتفاوتين؟؟ وإجابة ارسطو واضحة وصريحة وهي أن الناس يكونون أصدقاء عندما يكونون على مساواة في مرتبة الفضيلة مساواة تامة. فوجود فارق كبير في المستوى يمنع الصداقة مع المرء الذي يكون في مرتبة عظيمة السمو ، وخاصة يمنع قيامها مع الآلهة.[٣٢٨]لقد سبق أن لاحظنا أن صداقة المنفعة أو المتعة تقوم بين المتفاوتين ، أما في الصداقة الحقيقية فإن "الشبيه يصادق الشبيه" يقول "وعلى ما سبق فإن الصداقات التي تحدثنا عنها مؤسسة على المساواة وذلك لأن الصديقين يحصل كل واحد منهما على نفس الأشياء التي يعطيها للأخر ، بل ويضمر كل منهما نفس الأمنيات بعينها للأخر ، أو يتبادلان شيئا بأخر كأن يتبادلا اللذة بالمنفعة."[٣٢٩]ورغم كل هذه النصوص السابقة التي تنص على أن صداقة الفضيلة تقوم على المساواة نجد "تانسي شيرمان" بغرابة بالغة تقول أنه لا توجد إشارة في كتابات أرسطو فيما يخص الصداقات القائمة على الفضيلة إلي أي نوع من المساواة الذي يميز النوع الأسمى من الفضيلة ، لا يوجد اقتراح في كتاباته بأن المساواة تتضمن تماثلا في السمات الشخصية أو القدرات.[٣٣٠] وعلى ذلك فإن الصديق الحقيقي من الممكن أن تنقصه الثروة أو الجمال أو السلطة ، ولكن لما كانت هذه ليست اهدافه المرجوة كصديق حقيقي فإن حضورها بشكل ضخم في الصديق الأخر أمر لا يمكن أن يثير فيه حقداً عليه.[٣٣١]

هل توجد منافسة بين الأصدقاء في الصداقة الكاملة؟؟ نعم توجد منافسة وسباق أيهما يفوز بالنصيب الأوفر ، ولكن هذه المنافسة لا تكون حول الفوز بلذة من اللذات الحسية ، ولا بمنفعة مادية ، وإنما سباق للفوز بالنصيب الأكبر من الفضيلة والكمال من خلال التفاني في حب وخدمة الصديق الأخر . إنهما يؤمنان بأن التعاون التنافسي في السعادة يقود إلي ممارسة وكمال السعادة لكل منهما. ولذلك نجد أن الأفعال النبيلة عند الأصدقاء تظل موضع رغبة شديدة منهما، ويسعون وراءها وكأنها موضوعات جديدة للمنافسة لم يسبق وجودها، وتظل مرغوبة بحماس من الجانب الروحي فيهم. ومن هنا فإن الأصدقاء لا يدعمون كل عرق مبذول لتحاشي الشر فحسب ، بل ويشغلون أنفسهم أيضا "بالأفعال النبيلة بدرجة رائعة ، ويدعمون كل جهد مبذول لتحقيق اسمى الأعمال."[٣٣٢]

استبعد أرسطو أن تقوم الصداقة الكاملة (صداقة الفضيلة) بين البشر ذوي المزاج النكدي ، وكذلك بين الطاعنين في السن ، والسبب ــ كما يقول ــ لأنهم غير منبسطي المزاج ، ولا يجدون متعة كبيرة في إقامة علاقات عشرة متبادلة مع أن هذين السببين هما العلة وراء قيام الصداقة الحقيقية ، وفي نفس الوقت الثمار العائدة من وراءها. لا يتمنى ذوي المزاج النكدي الخير بعضهم لبعض ، ولا يساعد الواحد منهم الأخر عند الحاجة ، ولا يقضون أوقاتهم معا ، ولا يسكن بعضهم لبعض فلا يمكن إذن أن يكونوا اصدقاء لأن هذه السمات هي الأبرز تجسيدا للصداقة.[٣٣٣] كما استبعد أرسطو أن تقوم الصداقة الكاملة بين النساء لأنه لا يؤمن بامكانية قيامها إلا بين هؤلاء الذين وصلوا إلي درجة الامتياز في ممارسة التفكير العقلاني ، وهو أمر لا يمكن بلوغه إلا بواسطة الناضجين من الرجال المتمتعين بنعمة الفراغ ، في حين أن ملكات النساء العقلية لا تخضع لقيد أو سلطان ، ومن ثم فالنساء مستبعدات من الصداقة الكاملة.[٣٣٤] وقد كان هذا مدعاة لنقد "جون كوبر" لأرسطو، إذ لو كان كاملي الفضيلة هم وحدهم القادرون على الدخول في الصداقة الكاملة فسوف يترتب على ذلك أن الأفراد العاديين من البشر ذوي التركيب المألوف من الخير والشر لن يكونوا أطرافاً مناسبة للصداقات من هذا النوع ، بل سوف يُقدر عليهم أن يقيموا فحسب النوعين الناقصين من الصداقة مما سوف يترتب عليه أن تُسقط تماماً كل العلاقات التي تكون ضرورية للحياة الأخلاقية . إضافة إلي أن هذا يقود إلي نتيجة محبطة وهي أن السعادة ــ والتي تمثل صورة الحياة الكاملة عند أرسطو ــ لا تكون متاحة إلا فقط لقلة مما سوف يجعل فلسفة ارسطو الأخلاقية نفسها فلسفة للنخبة فقطElitist.[٣٣٥] ولكننا نرى مع "بول واديل" أن جون كوبر غير مصيب في هذا النقد إذ حتى لو كان أرسطو قد وصف صداقات الفضيلة بأنها صداقة كاملة ، فلا يعني هذا أن الأصدقاء أنفسهم يكونون كاملي الفضيلة بالضرورة ، فارسطو في حقيقة الأمر لا يصف هذه العلاقة بأنها كاملة بسبب صفات الأصدقاء الداخلين فيها ، وإنما لقوة العلاقة نفسها ، فالأصدقاء فيها يحتاجون إلي الصداقة ، ويُجذبان إليها لأن الصفات التي يحوزونها يتم الارتقاء بها وتعزيزها من خلالها وفي ضوء فاعلية صداقات الفضيلة وحدها. ولو كانوا كاملي الفضيلة ما احتاجوا اصلا إلي هذه الصداقة.[٣٣٦] لذلك فليس مستبعداً عند أرسطو إذن أن تقوم صداقة الفضيلة بين أناس ليسوا مكتملي الفضيلة كمالا تاما. اي عندما يدرك أحد

الطرفين وجود بعض الصفات الفاضلة أخلاقياً لدى الطرف الأخر (أو يعتقد أنه يحوزها). فمن الممكن أن يصادق المرء شخصاً نظراً لكرمه وروحه السمحة في حين يفطن إلي أنه في بعض الجوانب كسول ، أو مطلق العنان لشهواته بعض الشيء.[٣٣٧]

وأكد أرسطو على أن الصداقة الكاملة ممتعة ومفيدة طالما أن الأخيار من البشر يكونون مفيدين وممتعين الواحد منهم للأخر. وهنا نتسأل مع "جوليا آناس" باي حق يقول ارسطو إنني عندما أكون ميالاً إلي (س) لماله من فضيلة فسوف أجده بالضرورة مفيداً وممتعاً لي؟ وآراء أرسطو كما تقول متعاونة هنا لأن المتعة عنده هي الثمرة التي تنتج عندما نسلك كما ينبغي في الظروف الملائمة ، ومن ثم سوف تنتج المتعة عندما تكون الظروف لائقة للإنسان الفاضل ، لأنه يسلك بالشكل الذي ينبغي أن يسلك به الإنسان. ولما كان من الصعب على الإنسان أن يتأمل سلوكه الشخصي بدقة ، وايسر عليه تأمل سلوك إنسان مماثل له في الفضيلة ، فإن أنشطة صديقنا الفاضل المشابهة لنا في الفضيلة سوف تكون للمرء الفاضل مصدراً فعلياً للمتعة.[٣٣٨] أما دعواة القائلة أن الأخيار مفيدون الواحد منهم للأخر فمن المحتمل أنه كان سوف ينادي بأن الأخيار سوف يميلون كطابع مميز لهم إلي فعل الأنواع نفسها من الشيء ، وبالتالي سوف يكون لديهم رصيد مشترك ملائم من الخبرة والحنكة والمهارات.[٣٣٩]

لقد كان ما قصده أرسطو بالصداقة الكاملة اساساً التوحد المشترك A shared Identity في وحدة كاملة ، لكن هذا لا يعني أن لدى الأصدقاء "الكاملين" نكران للذات ، وعدم اعتناء سوى بخير الأخر وحده. فهذه صورة مضطربة وغير دقيقة للصداقة الكاملة لدى أرسطو، لأن المشارك في الصداقة الكاملة في حقيقة الأمر إنسان فاضل ومتمتع بقدر من السعادة ويمارس الفضيلة ، وهو يراعي صديقه بقدر هذا الوضع السعيد ، ويستمتع هو نفسه في ذات الوقت بهذا العمل فيجني الفضيلة والمتعة والمنفعة معا. ولكن كل هذا يتم بشكل غير متعمد، وإلا فلن تكون هذه صداقة بل صفقة تجارية .. الشيء النبيل هو فعل الخير دون التفكير في الحصول على المقابل."[٣٤٠]

وهنا نسأل هل من الممكن في يوم من الأيام أن تنحل الصداقة الكاملة فلا يعد الصديقان صديقين بعد؟؟ يفترض أرسطو أن الإجابة هي الاثبات ، فمع أنه يجعل الاستمرارية والديمومة صفة من صفات هذه الصداقة إلا أنه يرى أنه قد يأتي اليوم وتنهار فيه الصداقة عندما يصبح أحد الطرفين سيئاً بطريقة ميئوس من صلاحها ، كما تنحل الصداقة عندما يظل أحد الطرفين على حاله في حين يتحسن ويرتقى الأخر ويصبح اسمى فضيلة. وفي كلتا الحالتين عندما تنحل الصداقة لا ينبغي أن يُعامل صديق سابق وكأنه لم يكن صديقاً في يوم من الأيام . إن ذكرى مودة سابقة شيء طيب ، وينبغي أن نراعى مشاعر الأصدقاء السابقين من أجل العشرة القديمة.[٣٤١]

ورغم أن صور الصداقة الناقصة لها قيمتها التي لا تنكر في تسيير أمور حياتنا، فإن صداقة الفضيلة هي الأفضل بين الجميع بسبب ما يمكن أن تحققه للأصدقاء ، فهي تنقل الفضيلة إلي الأصدقاء بشكل توسطي ، إنها التي تمكن البشر من بلوغ الخيرية ، والتي فيها يتحقق الكمال البشري. حقا كل نوع من الصداقة يجب أن يشغل حيزاً في الحياة ، إلا أن الصداقة النابعة من الفضيلة هي الصداقة بالمعنى الأكمل للكلمة ، لأنه لا يمكن لأحد أن يغدو فاضلاً وبالتالي إنساناً بدونها.[٣٤٢] وهناك عدة عوامل تساهم في

تقوية وتمتين صداقة الفضيلة بين الناس متى قامت ، منها عامل الحب المتبادل ، فهو الركيزة القوية لاستمرار الصداقة وبقاءها، لذلك يقول أرسطو "والآن لما كانت الصداقة تعتمد أعظم ما تعتمد على الحب ، وأن هؤلاء الذين يحبون اصدقائهم يكونون موضع مديح وتقدير ، فمن الواضح أن الحب هو القسمة الجوهرية المميزة للأصدقاء ، وعلى ذلك فإن هؤلاء الذين يتوفر فيهم هذا الحب بالقدر المناسب هم وحدهم الذين يكونون أصدقاء خالدين ، وتظل صداقتهم ممتدة وطويلة.[٣٤٣] ومنها طول المعاشرة ، والاشتراك في الحديث والنقاش والاستمتاع بالأنشطة المشتركة. فيتحقق بذلك الأتفاق الجماعي والذي يبلغ من خلاله الأصدقاء الغايات المشتركة . لذلك فإن كل صديق من الصديقين ــ في ضوء التماثل في الشخصية والاقتصارية في العلاقة ــ يكون في وضع من يعرف أفضل الطرق لمساعدة الأخر، وكيفية مساعدته بطريقة هي الأعظم إسعاداً وبثا للطمأنينة فيه ، وحتى لو تم وانفرد أحدهما بقرارته تكون معرفة الأخر به وباهتماماته في موضع من يقدم النصيحة والمساندة. ومع ذلك يظل الأفراد داخل هذه الصداقة الممتدة والمتداخلة رغم ذلك محتفظين باستقلالهم الشخصي ، فالصديق ــ كما يقول أرسطو ــ ذات ثانية لنا ولكن وبشكل مساوى ذات منفصلة."[٣٤٤]

يتمنى صديق الفضيلة لصديقه ــ من أجل ما في الشخصية من سمو ــ النجاح حتى يمكن له (الصديق) أن يصير فاضلاً أكثر ويستمر ــ على أضعف الإيمان ــ في فعل الأعمال الفاضلة . ونتسأل هنا عن الحالة الواقعية المجسدة لهذا النموذج البديع والفريد من الصداقة أين يمكن أن يكون قد لمسها أرسطو؟؟

لا شك أن أرسطو كون أفكاره النظرية عنها لمثال واقعي لمسه امامه ، وهذا المثال الواقعي كان الصداقات التي تقوم بين الفلاسفة ، لقد رأى بعينيه الألفة والصداقة الفلسفية المتينة في جمهورية أفلاطون فما كان منه إلا أن جعلها النموذج الأمثل للصداقة في نظريته لإعجابه الشديد بها. إذ كما تقول "بانجلي" لقد أمن أرسطو بأن المشاركة في المناقشات بين أستاذ وتلميذه تتيح النوع الأسمى من الصداقة ، فهي تقوم بين أناس هم الأعظم فهما لطبيعة الحياة البشرية ، وكذلك لقيمة الفضيلة الأخلاقية فمثل هذه المشاركة تعلم الطالب الفضيلة وترتقي بروحه، وفي الوقت نفسه تتيح للأستاذ درجة أعظم من الوضوح.[٣٤٥] وهذه الصداقة مرغوبة لدى الفيلسوف والتلميذ ، فالأول لأنه يحب حياته ، نجده يوسع من وجوده الشخصي هذا بأن يحققه تحقيقاً فعلياً في الواقع عندما يساهم بعلاقة ودودة في إنجاب أنواع من نفسه في نفوس تلاميذه ، ومرغوبة للتلميذ لأن فيها أرتقاء بشخصيته وفضيلته من خلال تعاليم الفيلسوف . لكن الفيلسوف المقصود هنا ليس هو صاحب الحكمة النظرية ، فهذا الحكيم مكتف ذاتياً عن الأخرين في نشاطه التصورى التجريدي ، وإنما هو حكيم الحكمة العملية Phronimos حيث ينجذب هذا الحكيم إلي الوسط الإجتماعي بقوة ليطبق ويمارس كل الفضائل الأخلاقية ، وبهذا الشكل يحتاج إلي الأخرين كموضوعات يطبق ويمارس معهم فضائله.[٣٤٦] وفي ضوء ذلك قال "هاردي" "كم سوف يكون شيقاً لو عرفنا كيف تلقى الجمهور المستمع للمحاضرة ملاحظة أرسطو القائلة أن لا يمكن إعطاء هؤلاء الذين تعلمنا الفلسفة على يديهم المكافأة المجزية لهم لأن قيمتهم لا يمكن أن تُقدر بالمال ، كما لا يمكن أن يعطوا شرفاً سوف يعادل ما قدموه من خدمات ، وإن

كان يظل من المحتمل أن يكفيهم أن نمنحهم أقصى ما يمكن أن نقدمه من تقدير مثلما نفعل مع الآلهة أو الوالدين."[٣٤٧]

هناك ملاحظتان يلاحظهما المتأمل للتصور الذي طرحه أرسطو للصداقة الكاملة والسابق عرضة الأولى: أن مثال أرسطو الأعلي للصداقة جاء مثالاً غنياً في مضمونه الفلسفي ، وفي نفس الوقت مثمراً في نتائجه العملية ، إنه يجسد في حقيقة الأمر فلسفة أرسطو الأخلاقية في أعظم جوانبها وأشدها تفرداً.[٣٤٨] والملاحظة الثانية : الأثر الأفلاطوني القوي الذي لا يمكن أن تغفله العين في هذا التصور . فإلي جانب اعتماد أرسطو في تصوره على وقائع مستمدة من الخبرة العملية نجده يعكس فيها تأثيراً أفلاطونياً واضحاً ، فالصداقة الكاملة عنده تنشأ من مفهوم "المبدأ الأول للصداقة" كما يُقدم في محاورة "ليسيس" لأفلاطون ، ولكن بينما كان الأخير هذا قيمة ميتافيزيقية سامية يبدو بالقياس إليه كل عزيز على الأرض ليس سوى مجرد ظل له فحسب ، فإن الصداقة الأولى عند أرسطو يبقى على تأسيس الصداقة على المبدأ الأخلاقي للخير، ولكنه يجعل الخير قيمة أخلاقية راسخة نابعة من داخل شخصية الإنسان نفسه.[٣٤٩]

لكن نظرية أرسطو السابقة للصداقة الكاملة تعرض لبعض الانتقادات فنجد جون كوبر يعيب عليها أنها لا تتضمن أي ربط قوي بين دوافع الصداقة (المتعة المنفعة الفضيلة) وبين قيام الأنواع الموازية لها من الصداقة ، فليست كل صداقة تنعقد يكون الدافع المسبق لقيامها إما :المتعة أو المنفعة أو الفضيلة ، فمن الممكن أن تنعقد الصداقة بشكل عفوي بيني وبين طرف أخر ، ولا أفطن إلي أي دافع قادني إليها اصلا منذ البداية ، صحيح أن هذه الدوافع قد تأتي في مرحلة تالية على قيام الصداقة، ولكن عملية قيامها نفسها جاءت عفوية غير متعمدة ، ومن ثم فنظرية أرسطو هي نظرية فيما تكون عليه الصداقة أي حول ما يكون منطبقاً على هؤلاء الذين هم أصدقاء ، ولا تتضمن أي شيء اللهم إلا بشكل عرضي تقوله حول الكيفية التي تُشكل بها الصداقات في المقام الأول.[٣٥٠] وبدورها انتقدتها "جوليا آناس" بقولها أنه من الخطأ الربط ربطاً صارماً بين مفهوم حب أشخاص من أجل ذواتهم كأفراد وبين مفهوم حبهم من أجل فضيلتهم ، فمن الممكن لنا أن نحب شخصاً لما يكون عليه دون النظر إليه على الأقل على أنه خير. فهناك عنصر غير عقلاني في الصداقة ، والذي من الممكن أن يدفعنا إلي حب أشخاص وعشقهم مع أن لنا عليهم اعتراضاً قوياً.[٣٥١] إننا من الممكن أن نزعم أننا نحب معظم أصدقاءنا لذواتهم وحدها (خاصة إذا كان هؤلاء من أسرة المرء) مع أن معظمهم ليسوا فاضلين . والحقيقة تقول أن هناك الكثير من الأشياء التي تكون موضع إنجذاب منا نحو الأخرين من الناس مع أنها ليس من السهل أن تصنف أسفل فئة الفضيلة.[٣٥٢] ورغم دقة هذا النقد إلا أنه مما يُحسب لأرسطو في تصوره أن نجح فيه أن يملأ فراغ التعريف الذي قدمه للصداقة في بداية عرضة.[٣٥٣] إن للصداقة تعريفاً واحداً ودقيقاً وكان يحتاج إلي حشو يملاؤه لو أريد الفوز بما هو أكثر من مجرد صنف متكلف من العلاقة ، وصداقة الفضيلة هي وحدها التي تحقق هذا التعريف في طريقه تلبى ما نتوقعه أن تكون عليه الصداقة تلبية كاملة، ويبدو هذا مفهوماً شيقاً لفئة أشياء يمثل غموضها جدارتها.[٣٥٤]

خامساً: قيمة الصداقة

يؤكد أرسطو على أنه حتى وإن كنا لا نحتاج إلي الأصدقاء من أجل بلوغ الغايات الأخرى في الحياة ، وحتى إذا كنا نعتقد أن الصداقة ــ عند المقارنة بالأفعال الأخرى ــ تضر بنا أكثر مما تنفع ، سوف تظل موضع تقدير كقيمة باطنية ، بمعنى أننا سوف نظل نختارها من أجل ذاتها حتى إذا لم يكن هناك أي شيء أخر عائدا علينا منها.[٣٥٥] ومن ثم فقد كانت للصداقة أهمية عظيمة في فلسفة ارسطو الأخلاقية والاجتماعية. وترتكز قيمتها عنده من ناحية على حقيقة ان الإنسان لكي يغدو فاضلا فإن هذا يعتمد على نوع المجتمع الذي يوجد فيه ونوع العلاقات التي يرتبط بها مع غيره من الناس، ومن ناحية أخرى الصداقة بدورها شيء طيب في ذاتها، طالما أنها تمثل تطوراً وكمالاً للشخص البشري بوصفه حيواناً عاقلاً، وهو ما يسميه ارسطو بفضيلة النفس.[٣٥٦] لقد بحث أرسطو موضوع قيمة الصداقة في الفصل التاسع من الكتاب التاسع من الأخلاق النيقوماخية ، فقد تسأل حول ما إذا كانت الصداقة شيئا طيبا أم لا ؟ وما هو الخير الذي سوف يعود منها على الموجودات البشرية بوصفها كذلك ؟ وهل الإنسان الكامل السعادة سوف يكون بحاجة إلي الأصدقاء أم لا؟

ولكن يجب أن ننتبه إلي حقيقة هنا : أنه لو كان أرسطو قد بحث قيمة الصداقة في حياة الإنسان العملية فإنه يحذرنا من أن نرسم صورة للصداقة تجعل فائدة الصداقة العائدة السمة الغالبة فيها ، ونخفي قيمتها الباطنية المطلقة كشيء قيم في ذاته جدير بالاختيار لذاته . لذلك حدد أرسطو ــ وهو يضع في الحسبان القيمة الباطنية المطلقة للصداقة ، وكذلك التحذير السابق من جعل الفائدة العائدة من الصداقة السمة الغالبة فيها ــ حدد ثلاث قيم يتم جنيها في الحياة الإنسانية من وراء الصداقة هي : أنها تساعد في تحقيق العدالة ، وتسهم في نشر الفضيلة وتقويتها ، وتقود إلي إكمال السعادة الإنسانية في هذه الحياة ، وسوف نتحدث عن كل قيمة منها على حدة:

١- تحقيق العدالة داخل المدينة

نظر أرسطو إلي الأخلاق على أنها مكملة للسياسة ومرتبطة بها في ذات الوقت، فإذا كانت دولة المدينة قد قامت لحفظ الحياة وحمايتها من أجل تحقيق السعادة للمجموع ، وقامت السياسة للتنظير لذلك ، فإن فلسفة الأخلاق قامت لايجاد الإنسان الفاضل السعيد في المجتمع ، والغايتان متكاملتان طالما أن سعادة المدينة تتألف من مجموع سعادات الأفراد الداخلين فيها وامتداداً لها. لكن ارسطو سرعان ما يرتاب في قيام الالتزام العام بالخير العام المشترك والحياة الفاضلة في دولة المدينة التي كان يعيش في كنفها بأحداثها الدامية وحروبها الوحشية. ورأى السبب وراء ذلك يرجع إلي فقدان الصداقة المدنية ، وضعف الاتفاق حول طبيعة الحياة الخيرة ، ومن ثم نادى بأن في عودة الصداقة المدنية والتوافق عودة للحياة الفاضلة . لقد احس أرسطو بأن دولة المدينة المعاصرة لم تعد تؤهل لاكتساب الفضائل وتنميتها ، بل هي في الحقيقة تحبطها ، فدفعه هذا إلي البحث عن طريقة جديرة لتحقيق ذلك ، ووجدها في الصداقة ، لذلك نراه في نهاية "الأخلاق النيقوماخية" يضع الصداقة محل دولة المدينة صراحة باعتبارها الطريق الذي يتم من خلاله تعلم الفضائل.[٣٥٧]

من هذا المنطلق اعتبر أرسطو أن تعزيز الصداقة بين المواطنين مهمة العلم السياسي، لأن في ذلك تعزيز لوحدة المدينة وضمان لاستقرارها " أن العدل يُمارس أفضل ما يُمارس تجاه الأصدقاء. وإذا أردت جعل الأخرين عادلين يكفي أن تجعلهم أصدقاء لأن الأصدقاء لا يخطئ الواحد منهم في حق الأخر ، ومن ثم لما كان البشر لا يتصرفون بشكل ظالم عندما يكونوا عادلين فإن العدالة والصداقة بالتالي إما أنهما شيء واحد أو تقريباً كذلك."[٣٥٨] يتوافقان في المجال (المشاركة) ، وفي الدعاوي وهي الواجب والالتزام بين الأطراف الداخلة في المشاركة . وعقد في الفصل ١١من الكتاب التاسع مقارنة مفصلة بينهما. وإذا كانت العدالة تتطلب المساواة فكذلك الصداقة " يحصل الأصدقاء الواحد منهم من الأخر على نفس الشيء ويتمناه له" ولكن المساواة التي تتطلبها العدالة تختلف عن تلك التي تتطلبها الصداقة : فبينما تقتضي العدالة مساواة في الجدارة بشكل أساسي وفي الكمية بشكل ثانوي ، نجد أن المساواة في الصداقة في اساسها مساواة في الكمية وبشكل ثانوي مساواة في الجدارة. لذلك تسمح الصداقة بقيام الحب بين الأطراف غير المتساوية مثل الأب والابن.[٣٥٩] ويبدو أن المساواة بين المفهومين تجعل العدالة شيئا أكثر فردية ، وتجعل الصداقة أمرا أكثر جمعية ، فلم تكن العدالة ولا الصداقة عند أرسطو ــ كما تقول جوليا آناس ــ مجرد حقوق تترتب بشكل محايد على علاقات المرء الإجتماعية ، بل كانتا محددتين بشكل عظيم بوضع المرء الاجتماعي كمواطن وأب ومالك .. الخ ويعكس ذلك جانباً موضوعياً للصداقة.[٣٦٠]

ولكن رغم أوجه التشابه الكبيرة هذه بين العدالة والصداقة إلا أن الأخيرة تزيد على العدالة ــ كما يقول ارسطو ــ إذ أن الخير الذي يبدو في الصداقة النبيلة أسمى من ذلك الذي في العدالة ، ليس فقط لأن غايته غاية عظيمة فقط ، وإنما لأنها أيضا معتمدة على شخصية المرء الخاصة واختياراته اعتماداً كاملاً ، وهي لا تُحدد ويُجبر عليها بواسطة القانون.[٣٦١] وتضيف "بانجلي" ميزة أخرى للصداقة هي أن أفعالها تحقق سعادة المرء أكثر من الأفعال التي تُنجز بشكل حرفي لكونها أفعالاً أخلاقية ، فالتصرف إنطلاقاً مما يكون عادلاً يعني أن لديك اعتباراً لفضيلتك وصلاحك وليس لمصلحة المستفيد ، في حين أن التصرف لأجل صديقك يبدو أنه نكران للذات ، ومن ثم فالأفعال التلقائية في الصداقة مؤدية أكثر إلي السرور من الأفعال المفروضة من خارج المرء بالعدالة.[٣٦٢]لذلك أكد أرسطو على أن المشرعين أكثر اهتماماً بتعزيز الصداقة بين المواطنين من الاهتمام بوضع علاقات المواطنين على مضبطة العدالة ، فهؤلاء الذين هم أصدقاء ليسوا بحاجة إلي أن يصبحوا عادلين طالما يحمل الواحد منهم للآخر بشكل مسبق شعوراً بالاهتمام الفعال بسعادته .. لن يخطئ أحدهما في حق الأخر، ولن يكون هذا إنطلاقاً من حب من جانبهما للشرعية ، وإنما من حب الواحد منهما للأخليست[٣٦٣] العدالة كافية وحدها لحفظ النظام في المدينة، إذ يتطلب قيام مجتمع سياسي يسعى إلي تحقيق الحياة الفاضلة والسعيدة للمواطنين ما هو أكثر من فرض القوانين والنظام بالقوة ، وينتهي أرسطو من تحليله هنا إلي القول " عندما تكون هناك صداقة فلن تكون هناك حاجة إلي العدالة."[٣٦٤] ونستنج من ذلك ما استنتجه أدلر من أنه لما كان أعضاء أي مدينة من المدن القائمة ليسوا جميعاً أصدقاء الواحد منهم للأخر ، لذا

كانت العدالة والقوانين التي تحققها ضرورية لا غنى عنها أبدا ، أما لو كانوا أصدقاء حقا فلن يكونوا بحاجة إلي أن يرتبطوا معاً برباط العدالة من أجل أن يقيموا المجتمع الذي نسميه نحن مدينة.[٣٦٥] هكذا بكل صراحة يجعل أرسطو قيمة الصداقة داخل المدينة أعظم وأقوى من قيمة العدالة ، فلا يمكن أن يقود تجميع المواطنين معا وفرض النظام عليهم بالقوة إلي قيام مجتمع سياسي فاضل في رأي أرسطو ، فاشكال اجتماع المصلحة الشخصية مع الخوف من العقاب من الممكن أن توجد تحالفات وأمبراطوريات ولكنها لا يمكن أن توجد مدينة متحدة سعيدة ؟ إنه بدون الصداقة (الوفاق) الذي ينتج عنه وجود هدف مشترك ، وإيمان بمصلحة مشتركة ، وبدون الحرص الباطني على مصلحة رفاق المرء ، ذلك الحرص الذي يجعله يعاملهم معاملة عادلة ، ويسعى وراء مصلحتهم سعيه إلي مصلحته هو الشخصية فلن يمكن أن يقوم مجتمع سياسي.[٣٦٦] يقول أرسطو صراحة في السياسة " الصداقة هي الخير الأسمى الذي يمكن أن يحل بمدينة من المدن ، فلا شيء يمكن أن يمنع التحريض على الفتنة والعصيان منها."[٣٦٧] وفي إجابته على سؤال : كيف نسلك نحو الصديق ، ذهب أرسطو إلي أن كل أنواع العدالة توجد في علاقاتنا بالصديق ، إذ لما كانت العدالة تشتمل على عدد من الأفراد الذين يكونون شركاء ، كذلك الصديق هو شريك في اسرة أو في مشروع الإنسان في الحياة .. وطالما هناك مشاركة فلا بد أن يوجد نوع من العدالة حتى ولولم تكن هناك مدينة.[٣٦٨]

إذن تفرض الصداقة من جانبها ضوابط وقوانين للعدالة بين الصديقين ، وكلما كانت الصداقة أكثر حميمية كلما كانت إلتزامات المرء تجاه صديقه فيها أكثر اتساعاً. ومن ثم فعندما يخطئ المرء في حق صديقه يكون الجرم أعظم مما لو اخطئ في حق شخص أخر غريب عليه. إنه كلما كان الاحساس بالصداقة بين أعضاء مجتمع أكثر قوة كلما غدى المدى الخاص بمتطلبات العدالة بينهم أعظم ، والتزاماتها أشد صرامة ، ومن ثم فإن المشرعين في الوقت الذي يبدون فيه اهتماماً خاصا بجعل مواطنيهم أصدقاء بعضهم للبعض هو الوقت نفسه الذي فيه يوجدون دافعاً قوياً للعدالة . لذلك فالعدالة ترتكز على الصداقة وليس العكس.[٣٦٩] ومن ثم فالصداقة أكثر ضرورية من العدالة وأوسع منها تاثيراً وفاعلية ، فبينما لا يكون الفعل العادل سوى الوفاء بحق معلوم يكون لإنسان أخر في زمتنا بطريقة من الممكن أن تُدرج اسفل المبدأ العام الذي ينص على مراعاة الوسط ، نجد أن الصداقة حسن نية معتاد ، وهو شعور متبادل ومعروف لدى الطرفين . والواقع أن الصداقة تزيد على العدالة في جانبين : الأول أنها تزيد عنها في المعني فهي تأخذ بعين الاعتبار خير الأخر، وفي أنها أعلى درجة من العدالة ، حيث تزيد درجة الظلم عندما يُرتكب ضد صديق لنا عما إذا ارتكب ضد اي إنسان لا نعرفه.[٣٧٠]

ينبغي للمدينة أن تغدو مجتمعا من الأصدقاء لأنها اجتماع حول التزام قائم بين المواطنين ، إلتزام يتطلب بشكل مسبق قدراً عظيماً من الاتفاق على الحياة الفاضلة ، وعلى الفضائل المطلوبة لبلوغها ، ولن يتحقق هذا بدون توافق وصداقة بين أعضاء المجتمع ، وبالتالي ينبغي أن نفهم الصداقة عند أرسطو على أنها اشتراك الجميع في المشروع القومي المشترك لتشييد حياة المدينة وحمايتها ، مشاركة اتحادية فيما

لصداقات الفرد الجزئية من مباشرة.[٣٧١] فإذا كان أرسطو قد سخط على دولة المدينة المعاصرة له بهذا الشكل واعتبرها لا تحث على الفضيلة ولا تحقق السعادة لأعضاءها مع أن هذا هو الهدف الذي من أجله نشأت المدينة أصلا ، فهل قصد أرسطو مما سبق وتحت ضغط هذا الاحباط أن يضع الصداقة محل دولة المدينة؟؟ الواقع ان أرسطو لا يريد أن يقابل المدينة بالصداقة ، لأن المدينة لازمة عنده أصلا لقيام الصداقة ، صحيح أنه فقد الأمل تقريبا في أثينا ، فلم يكن يجدها دولة المدينة الفاضلة على النحو الذي كان يتمنى أن تكون عليه ، صحيح كل هذا لكنه لا يعني أن أرسطو أسقط المدينة من حساباته، حقا تشكل الصداقة باعتبارها نقطة الرقي الأخلاقي نقداً لدولة المدينة ، ولكنها تشكل في الوقت نفسه أملها . إذ لن تكون دولة المدينة ممكنة إلا بقدر ما يترابط الناس الفضلاء فيها . كما أن الصداقة تحتاج إلي دولة المدينة ليس فحسب لأنها هي الموضع الأكبر الذي من الممكن أن تُمارس فيه الفضائل ، وإنما لأن ما يوجد في المدينة من تدافع وصراع أمر ضروري لتوسيع الفضائل إلي مستويات أكبر. هناك تبادل في المنفعة بين الإثنين : بدون مجتمع الصداقة لا يمكن أن تقوم دولة المدينة ، كما أنه بدون دولة المدينة سوف تصبح الصداقات شديدة الضيق والمحدودية .[٣٧٢]

٣ تحقيق الفضيلة داخل الفرد

هناك قيمة أخرى للصداقة إلي جانب قيمتها العظيمة في نشر وتحقيق العدالة داخل المدينة ، هي أنها تسهم اسهاماً عظيماً في الارتقاء بالفضيلة الأخلاقية داخل الفرد. فكيف تلعب الصداقة هذا الدور إذا كانت الصداقة الكاملة لا تقوم إلا بين الأخيار من البشر وهؤلاء بدورهم كاملي الفضيلة ولا يحتاجون إلي من ينميها لديهم؟

ينصب السؤال ــ كما يقول جون كوبر ــ حول القيمة التي تعود على الفرد من امتلاك الأصدقاء ، ومن ثم فإنه يستفسر عما إذا كان امتلاك الأصدقاء ضروريا ومطلوبا كوسيلة للإرتقاء بحياة كانت كاملة من قبل أم لا.[٣٧٣] وهي مشكلة سبق وأن أثارها أفلاطون في "ليسيس".[٣٧٤] أما أرسطو فقد عالجها معالجة متميزة في الفصل التاسع من الكتاب التاسع ، فقرر أن الإنسان الفاضل لن يحتاج إلي أصدقاء تكون الصداقة معهم قائمة من أجل المنفعة أو اللذة ، ومن المحتمل أن هذا هو ما يجعل الناس يعتقدون خطأ أنه لا يحتاج إلي الأصدقاء بوجه عام. بل يحتاج إلي أصدقاء من نوع أخر، هم الأصدقاء الفاضلين أخلاقياً ، فنرى أرسطو يؤكد على أن السعادة والتي هي الحياة الفاضلة تكمن في النشاط والعمل ، وقد خلقتنا الطبيعة بالشكل الذي يجعلنا نجد المتعة في الأنشطة التأملية سواء أكانت تأملاً في شئوننا ، أو تأملاً لشئون الأخرين. ونحن أقدر على تأمل الأخرين وتأمل شئونهم بشكل أوضح بكثير من تأمل شئوننا نحن ، ومن ثم نحن بحاجة إلي أصدقاء فاضلين لنتأمل شئونهم وفضائلهم فنجني متعة لا تقدر من جراء ذلك. والرجل الفاضل الذي لديه أصدقاء فاضلين يتيحون له الفرصة للوصول إلي المتعة من خلال تأمل أنشطتهم سوف تكون حياته بلا شك ينقصها الكثير.[٣٧٥]وقد صاغ أرسطو ذلك بدقة في قوله " لما كان النجاح نشاط وعمل مستمر ومتواصل ، فإن فاعلية ونشاط إنسان فاضل شيء طيب وممتع في ذاته ، طالما أن ما يكون خاصا بالمرء وملكاً له يكون ساراً. ولما كنا نستطيع أن ندرس جيراننا بشكل أفضل من دراستنا لأنفسنا ، ونفحص أفعالهم أفضل ، وإذا كانت أفعال

الأخيار من الناس أفعالا ممتعة لأمثالهم ، إذا كان الأمر كذلك فإن الشخص الناجح نجاحاً كاملاً سوف يحتاج إلي الأصدقاء من هذا النوع شريطة أن يتأمل الأفعال الفاضلة عندهم ، وأفعال الفرد الفاضل الذي يكون صديقاً تكون من هذا النوع ، طالما أن هدفه هو تأمل الأفعال المجيدة وكذلك افعاله هو الشخصية ، وأفعال امرئ فاضل ــ والذي يكون صديقه ــ تتسم بهاتين السمتين."[٣٧٦] كما أنه إذا كانت الحياة أمراً مرغوباً فيه لذاتها لدى الإنسان السعيد سعادة كاملة ، وأن حياة صديقه شديدة الشبه بذلك كثيراً ، فسوف يكون الصديق واحداً من الأشياء التي تكون مرغوبة لذاتها. والآن لما كان ما يكون مرغوباً لدى المرء يجب أن يكون حائزاً له وإلا فسوف يكون ناقصاً في هذا الجانب ، فإنه على ذلك سوف يكون الرجل الذي يريد أن يكون سعيداً بحاجة إلي الأصدقاء الفاضلين[٣٧٧]

فإذا تسألنا لماذا تكون المعرفة بالذات أمراً ممتعاً للإنسان الفاضل؟ جاءت إجابة أرسطو أن حياة الإنسان لا يمكن أن توصف بأنها حياة كاملة مالم يعرف نوع الحياة الذي اختاره وعاشه ، وهذا ما سلم به أرسطو ضمنياً على مدى مناقشته كلها ، إذ لا يتمثل الكمال الإنساني فحسب في التوائم مع المبادئ الطبيعية ، بل ويتطلب معرفة الذات ، وتأكيداً مقصوداً لها. وبهذا الشكل فإن معرفة الذات جزء أساس في هذا الذي يتم الارتقاء به ، وهي بهذا الوصف شيء ممتع إلي حد عظيم.[٣٧٨] أما تعبير "ذات ثانية" فيحتاج إلي ايضاح هنا ، والتفسير الأقوى لها" أنها عبارة عن تلخيص اختزالي لثلاث قضايا منفصلة : ١- ذات الموجود البشري الحقيقية هي عقله، ٢- العقل واحد ومتماثل عند كل الموجودات البشرية. ٣- تتمثل الصداقة الكاملة بين أشخاص في علاقة يصبح كل مساهم فيها على وعي ــ ضمنيا على الأقل ــ بالهوية القائمة في الطرف الأخر ، ومن ثم يدرك أن ذات الأخر الحقيقية متطابقة مع ذاته الحقيقية.[٣٧٩] ومن ثم فالذات الحقيقية التي نملكها أنا وصديقي بشكل مشترك هي علاقتنا بهذا المبدأ غير المشخص(العقل) . وقد ساق جون كوبر برهان أرسطو السابق على قيمة الصداقة في أربع قضايا على النحو التالي:[٣٨٠]

١-تمثل الحياة للشخص الفاضل في ذاتها شيئاً طيباً وممتعاً، ودائما ما يكون ممتعا أن يعى أن نفسه تملك أشياء طيبة ، ومن ثم فوعي المرء الفاضل بنفسه على أنها حية أم ممتع ومرغوب بشدة.

٢-يمثل صديق الإنسان "ذاتاً ثانية" له ومن ثم فما يكون طيباً له كشيء خاص به سوق يكون طيباً له ايضا عندما يكون هذا الشيء مملوكاً لصديقه.

٣-لما كانت حياة الإنسان الفاضل ووعيه بها تمثل شيئا ممتعاً ومرغوباً فيه عنده ، فسوف يجد أن حياة "ذاته الثانية" ووعيه بها أمراً ممتعاً ومرغوباً عنده أيضا.

٤-ولكنه لن يستطيع أن يشبع هذه الرغبة في أن يكون واعياً بوجود صديقه هذا إلا من خلال أن يعيش في صحبة معه يشاركه فيها الفكر والمناقشة ، إذن فوجود الصديق أمر ضروري للإنسان الفاضل.

وهنا نسأل : لماذا يكون تامل أفعال وذات صديقي أمراً ممتعاً ومرغوباً لدي وأنا إنسان فاضل؟؟ والإجابة لأنه يمثل ذاتاً ثانية لي ، لكن هذه ليست إجابة شافية لأنه سوف يترتب عليها سؤال أخر وهو : ما الذي يضيفه صديقي لي "كذات ثانية"

ولفضيلتي؟ والإجابة أن الصديق مرآة لنا نرى فيها أفعالنا وذواتنا فيسهل علينا تأملها واستخراج العبر المفيدة منها . إنه مرآة تساعدني على معرفة ذاتي بمعنى أعمق ، وذلك من خلال تزويدي بمنهاج للعمل ، وكذلك اقتراب من وجهة نظر الصديق في أفعالنا . وتشبيه المرآة هنا تشبيه حرفي ، فصديقي عند أرسطو "أنا ثانية" "أستطيع أن أرى في ملاحظتي ومراقبتي لفضيلته أن أرى وأدرس فضيلتي الشخصية فأحسنها."[٣٨١]

ولم يكن ارسطو في كل ما سبق يقصد أن الصديقين يكونان مرآة الواحد منهما للآخر بالمعنى الحرفي للكلمة ، والذي فيه تجد عادات ومهارات واحد منهما جوانب محاكاة فورية وظاهرة في الأخر، وإنما بمعنى أنهما يفكران ويقرران ويختاران بطريقة متشابهة ، إنهما يكونان بتفكير واحد ليس فيما يتعلق بكل شيء ، وإنما فيما يتعلق بالكيفية التي يتعين على المرء أن يقدر بها الصالح فيما يخص هذه الأمور.[٣٨٢] إن السبب وراء كون كل البشر قادرين على التعرف على أنفسهم أفضل في الأخرين ــ كما يوضح كوبر ــ هو الفرض القائم هنا هو أنه حتى الصديق الحميم يظل مع ذلك متميزاً عني بطريقة تكفي لأن يُدرس دراسة موضوعية ، ومن ثم لما كان المرء يعرف بشكل حدسي أنه هو نفسه مماثل في الشخصية لما يكون عليه صديقه بشكل جوهري ، فإن المرء يحصل من خلاله على نظرة موضوعية عن نفسه.[٣٨٣] تؤهل الصداقة الإنسان الفاضل من أن يكون خيراً ، غير أن هذا لا يعني أن الأصدقاء يشكل الواحد منهم الأخر من خلال تفاعلهم ، وإنما يعني أنهما يشكل الواحد الأخر من خلال تصور وقبول مشترك للخير. ومفتاح ذلك التشابه بين الأصدقاء الكاملين ، إذ تنمى ملاحظة الفعل الفاضل في صديق المرء فهم هذا الأخير لهذه الفضائل في ذاته ، ويتم بعد ذلك تعزيز العلاقة القائمة بين الأصدقاء بواسطة الكبرياء الذي يحسه المرء في داخله من أن فضيلة صديقه من انتاج المرء نفسه، كما هو الأمر مع حب الوالد لابنه.[٣٨٤] سوف تترسخ إذن فضيلتي الشخصية من خلال ملاحظتي لأفعال أصدقائي الفاضلة ، ولا تكون هاتان اللحظتان قابلتين للفصل بينهما في حالتي الشخصية إلا بواسطة التحليل العقلي فقط وليس في الواقع وهما: خيرية حياتي ، والمتعة التي أحسها عند ادراك أن حياتي خيرة . وبرهان أرسطو السابق يتضمن ما يلي: ١- إنني ادرك أن حياة العقل والفضيلة في حالة صديقي تمثل خيراً باطنياً فيه مثلما تكون في حالتي أنا الشخصية. ٢- وأن وعي بأفكاره وفعله في حياتنا المشتركة يمثل متعة طبيعية لي لأنها تمثل الوعي بخير ينتمي إلي طالما أن صديقي هو ذات ثانية لي.[٣٨٥] لذلك يذهب أرسطو إلي حد الجزم بأنه" من المحتم أن الوعي بصديق وعي بذات المرء بطريقة ما."[٣٨٦]

ويسلم كثير من الشراح المحدثين بامكانية توصل الإنسان في الصداقة إلي هذه الدرجة من رؤية أفكار ورغبات صديقي بنفس درجة رؤيتي لأفكاري أنا الشخصية ويشيرون إلي أن هذا حقيقة سيكولوجية.[٣٨٧] إن الأصدقاء مطلوبون هنا في هذا البرهان لسببين: الأول أننا لا يمكننا أن نرى صورة منعكسة لذواتنا إلا في الناس الأخرين ، وهي التي سوف تمنحنا تقييماً موضوعياً لذواتنا. ثانياً أن الأصدقاء هم الوحيدون من بين الناس الأخرين الذين يمدوننا بدرجة الألفة التي نحتاجها من اجل أن

نكتشف أي شيء عميق ودفين حول ذواتنا.[٣٨٨] وتغدو الصداقة بهذا الشكل ميداناً للرقي الأخلاقي، إذ يغدو الأصدقاء الذين تقوم صداقتهم على الفضيلة في وضع أفضل بواسطة أنشطتهم المشتركة ، ومن خلال تصويب الواحد منهم للآخر ، لأن كل واحد منهما يرى نفسه في شخص الآخر.[٣٨٩]

للصداقة قيمة أخلاقية إذن في أنها تجعل التفكير والفعل ميسرا وسهلاً فهناك كما يقول أرسطو تدريب قوي على الفضيلة ينشأ من صحبة إنسان فاضل، في حين لا يمكن أن يستفيد المرء قط من الصداقة التي يقيمها مع الأشرار أو الضعاف أخلاقياً.[٣٩٠] إن ما يوجد بين الأصدقاء من إنسانية وعقلانية مشتركة يجعل اهتمام الواحد منهما بالآخر ، وامكانية إفادة الواحد منهما بفضيلة الأخر أمراً ممكناً . حيث يمكننا هذا من المعرفة الجيدة بالذات . فعندما تكون لدينا ذات ثانية امام عيوننا ، ويمكننا أن ندرس أفعالها وسماتها المماثلة من زاوية شديدة الموضوعية والاستقلال فأننا نعرف بذلك الكثير عن أنفسنا ، وذلك لأن الانحياز والحب مع مرور الزمن يعمينا عن الحكم الصحيح علينا فيما يخص وضعنا الشخصي ، ومن خلال ذات أخرى شبيهة بنا يمكننا أن نرى أنفسنا ونحكم عليها من زاوية خارجية محايدة.[٣٩١] إن الذات الإنسانية مختلفة عن الذات الإلهية التي تعرف نفسها بنفسها ، فالذات الإنسانية تحتاج إلي ذات أخرى من أجل أن تصبح قادرة على معرفة نفسها ، بل ولا يمكن أن تسلك بدونها . يلعب الصديقان بشكل متبادل دوري العارف والمعروف باعتبار كل واحد منهما ذات الأخر الثانية.[٣٩٢] وإذا كان من الصعب جداً أن يعرف المرء نفسه رغم أن هذا أمر ممتع ، فهذا واضح ــ كما يقول أرسطو في الأخلاق الكبرى ــ من الحقيقة القائلة أن أغلب الأشياء التي نحتقر الأخرين من أجلها لا نلاحظ أننا نفعلها نحن أنفسنا ، ويحدث هذا بسبب التحيز لأنفسنا أو الغرام بها مما يضلل كثيراً حكمنا على ما يكون صائباً ، لذلك فإننا عندما نود أن نعرف سماتنا الشخصية نعرفها بالتطلع في صديقنا تماما مثلما نعرف وجوهنا بالنظر إلي المرآة.[٣٩٣] وما يجعله أرسطو واضحا في النص السابق بشكل لا يفعله في "الأخلاق النيقوماخية" هو أننا ننظر خارج ذواتنا نتيجة لميلنا الشخصي نحو خداع الذات لأننا نود أن نرى أنفسنا بعيوبها وبكل شيء فيها بدقة أكبر ، لذلك قال أرسطو في "السياسة" " إن معظم الناس قضاة ظالمون فيما يتعلق بوضعهم الشخصي."[٣٩٤]

ويفترض أرسطو أننا أمام الصديق من الممكن أن نرى أنفسنا ونعترف بأوجه الضعف التي نخبئها عن الآخرين. وبفضل حضور الصديق يمكن ببساطة أن نتوقف عن سرد القصص الكاذبة لأنفسنا حول أسباب فشلنا ، ومن ثم نصل ــ من خلال الأصدقاء الأوفياء ــ إلي رؤية لأنفسنا أكثر دقة وثباتاً من تلك التي يتيحها رأينا الشخصي الخالص. ولا يتمثل السبب في ذلك ببساطة أن أعيننا تكون منحازة، وإنما يتمثل وبشكل أكثر تعميماً في إن مشروع المعرفة بالذات يتطلب حواراً خارجياً واستماعاً لما في الخارج، وبدون الأصدقاء فنحن نسلك على عمى عما نكون عليه حقاً ويغيب عنا التفكير العلمي السليم.[٣٩٥] وهناك زاوية اخرى لقيمة الصداقة في توثيق وعينا بأنفسنا وهي أن الأنشطة المشتركة مع أصدقاءنا تؤهلنا لأن ننجز هذه الأنشطة بطريقة ممتعة ومؤثرة وطويلة زمنياً مما كان سوف يصبح بمقدورنا لو

اقتصرنا على الجهود الفردية ، وذلك لأن الفضيلة المرتقبة من الحياة الإنسانية مكونة من أنشطة ووجود سياق خاص من الأنشطة المشتركة والتعاونية يمكن البشر من بلوغ مستوى أعلي من الفاعلية والفضيلة ما كان لنا أن نبلغه بدون ذلك.[٣٩٦]

إننا في عملية بلوغ الحياة الفاضلة نؤازر مؤازرة عظيمة عندما يكون لدينا أصدقاء، وحينما نُحاط بحلقه من مؤازرة الأصدقاء فإننا نكون مؤهلين أكثر بكثير لعملية فهم أنفسنا ، ومؤهلين أفضل لبلوغ غايتنا الأخلاقية. ما يتم هنا نوع من المحاكاة وسعي للتعلم مما يوجد في الطرف الأخر من حكمة وجوانب قوة. حقاً يحوز الناضج أخلاقياً نسقاً كاملاً من الفضائل ولكن صورة هذا النسق تختلف من شخص فاضل إلي أخر ، فهناك من تغلب عليه الشجاعة ، وهناك السخاء .. فالظروف المختلفة تؤدي إلي تطبيق مختلف للفضائل، وتتمثل عظمة الصداقة في الإندهاش الذي يسيطر علينا عند رؤية نفس مشابهة لنفسنا مما يقودنا إلي المحاكاة والتقليد.[٣٩٧] فيقودنا هذا إلي عملية احترام الذات ، كما يعزز ايضا من عملية التقييم الذاتي الأمين ، ومن هنا يقول أرسطو " إننا نختار هؤلاء الذين يكونون أمناء معنا ، الذين يمكننا أن نتحدث معهم عن جوانب قصورهم كأصدقاء حميمين لنا، ونشعر بالخجل الشديد من ارتكاب الأشياء التي تكون خاطئة أمامهم."[٣٩٨] هكذا نرى أرسطو في برهانه السابق يبدأ بارساء قاعدة أن كل البشر يرغبون بالطبيعة في المعرفة ، ويضيف أن كل الأخيار من الناس يرغبون بالطبيعة في معرفة ذواتهم ، وينتهي إلي نتيجة : أن الصداقة الحقيقية تكون ضرورية لحصولهم على معرفة الذات هذه . والسؤال الان هل قصد أرسطو من برهانه السابق القول بأن اهتمامنا بالاصدقاء اهتمام نفعي آداتي فقط وأننا من الممكن أن نستغني عنهم عندما تتوفر لدينا لوحة بيانات جيدة تشمل كل تفاصيل ذواتنا، أو سكرتيراية جيدة؟ والإجابة كما تراها جوليا آناس بالنفي أما لو كانت بالاثبات لكانت نظرية ارسطو بهذا الشكل نظرية أنانية ترتد بجملتها إلي مجرد حب ذات محدود الأفق . أن الصداقة أمر طيب بشكل ذاتي حتى ولو كنا غير محتاجين احتياجاً حقيقياً لما يكون بمقدور الأصدقاء أن يمنحوه لنا ، إنهم جديرون بالصحبة من أجل ذواتهم ، إنهم يغمرون حياتنا بالمعرفة والنشاط أكثر مما تكون عليه في الأصل حتى ولو كان بمقدورنا في الحقيقة أن نحصل على هذه الأمور بدونهم.[٣٩٩] أو كما ساق أرسطو ذلك بقوله "إن الأصدقاء في ذاتهم خيرات لها قيمتها وفضيلتها الذاتية في نفسها ، إنهم ينتمون بالضرورة للسعادة وغيابهم غياب لشيء ما منها."[٤٠٠] واتفق جون كوبر مع رأي "جوليا آناس" السابق.[٤٠١] أما نانسي شيرمان فترى أن الأصدقاء عند أرسطو يلعبون الدورين الآداتي وغير الآداتي معا. فهم يلعبون دوراً آداتياً في ممارسة وتطبيق الفضائل العملية أو كما قال أرسطو عنهم " إنهم من بين المصادر التي بدونها يكون من المستحيل أو على الأقل ليس من السهل التصرف تصرفاً فاضلا."[٤٠٢] إنهم يرفرون الفرص لاستثمار أنشطتنا الفاضلة كما أنهم يسهمون في رقينا الأخلاقي. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى للأصدقاء قيمة باطنية لا تقدر في ذاتهم ، لأن في صحبتهم متعة لا تماثل أي فضيلة أخرى مما يمنحنا سعادة لا توصف[٤٠٣]، لذلك قال أرسطو عن الصداقة أنها الشيء الأعظم ضرورية والأسمى من بين كل الفضائل العملية.[٤٠٤] ومن ثم تُقهر الأنانية هنا من أجل الإثيارية أو كما قال جون كوبر

"لا يوجد في برهان ارسطو القائل بأننا في حب وتقدير الشخص الأخر من أجل ذاته فقط يغدو المرء قادراً على حب وتقدير ذاته أي رد للصداقة إلي مجرد حب محدود الأفق للذات."[٤٠٥] إن الرجل الفاضل المختار لأن يعيش حياة فاضلة يعرف أنه يفعل ذلك ، ولكنه ينبغي أن يتيقن من أن حياته بهذا الشكل لأجل أن يعيش بشكل واع أعظم حياة فاضلة ممكنة ــ بمعني أنه ينبغي أن يكون دائما مدركاً للدوافع الحقيقية وراء أفعاله الفاضلة ، ومن خلال الصديق يتيقن من ذلك ، ويتيقن من ذاته ، كما أنه هو نفسه يلعب الدور نفسه للصديق فيمثل له مصدر اليقين لذات هذا الصديق.[٤٠٦]

باختصار فإن برهان أرسطو السابق ينتهي إلي أن الصداقة نوع من الصدى اندنيوي للفضيلة القائمة في ذات المرء ، فعندما يكون إنسان فاضلا فسوف يتخذ لنفسه صديقاً فاضلاً ، ويجد لذة في ذلك ، وبهذا الشكل يمكن للفضيلة القائمة لديه أن تظهر وتتبلور في العالم محققة لذة أكبر من الفضيلة القائمة لدى صديقه ، حيث يمكننا الصديق من رؤية فضيلتنا الشخصية ببريق خاص ، وإن كنا لا نرى كما هو واضح سوى خيرية كانت داخلنا من قبل ،إننا نكون سعداء بفضيلتنا الشخصية ونصبح سعداء أكثر بحضور صديق فاضل معنا.[٤٠٧] إن المنفعة العائدة علي الإنسان من ذلك الإحساس القوي بأن أنشطته المفضلة لديه شخصياً أنشطة فاضلة من الناحية الموضوعية الأخلاقية . ولا يوجد هنا أي رد للصداقة إلي حب الذات الأعمى ، كما لا يلقى بظلال الشك على مسألة تقدير قيمة الشخص الأخر وحياته ، إذ لا يقصد أرسطو القول فيه بأن شخصاً كاملاً يعامل صديقه على أنه مجرد آداة يعزز من خلالها تقديره الشخصي لذاته ، بل على العكس تتضمن هذه الصورة أن تقديره لذاته لن يحصل على التعزيز الذي يطلبه إلا بالقدر الذي يحمل به هو نفسه للشخص الأخر التقديروالاحترام لشخصه وحياته.[٤٠٨] وهناك سبب ثاني وراء أهمية الصداقة في ترسيخ الفضيلة اشار إليه جون كوبر هو أن الصديق يحمينا من الملل الذي نشعر به حتى ونحن نمارس أعظم الأنشطة أهمية وتشويقا: أنشطة الفضيلة. إذ مهما كانت قيمة الإفعال التي نؤديها سوف نصاب بالتعب والملل عندما نؤديها بمفردنا ، نصاب بالتعب من مشاريعنا ليس لآن قيمتها تتضاءل وإنما لأننا عندما نتركها لأنفسنا لا نغدو قادرين على تقدير قيمتها ، ونحتاج إلي الأخرين من اجل إدراك سبب لماذا تكون الاهتمامات القائمة في حياتنا أمورا هامة لنا بشكل فعلي.[٤٠٩]يقول أرسطو" فضلا عن أن الناس تعتقد أن المرء الكامل ينبغي أن يعيش حياة سارة ، ولما كانت الحياة شاقة على شخص منفرد ، وأنه ينجز ويبدع أيسر وهو في صحبة الأخرين ، فإن نشاطه وفاعليته ــ والتي هي أمر سار له في ذاته ــ سوف تكون أكثر استمرارية عند اشتراكه في العيش مع الأخرين، ومن ثم ففي صحبة الأخرين سوف يكون نشاطه أكثر استمرارية وهذا في حد ذاته ممتعا."[٤١٠] تتيح الصداقة نوعا أكثر استمرارية من النشاط النبيل بجعل أنشطة المرء متجهة نحو الأفراد الذين يعتبرهم نبلاء وممتعين، ولأنها تمكن المرء من الاشتراك مع الأخرين بشكل تعاوني في النشاط النبيل والذي ما كان من الممكن له أن يشارك فيه لولا ذلك. وعلى ذلك يمكن الأصدقاء فاعليتنا من أن تستمر لفترة أطول في الزمن.[٤١١]

وهناك عدة احتمالات للمقصد الذي عناه ارسطو بقوله أن الصداقة تجعل تادية الإنسان للأفعال الفاضلة تادية حيوية ومفعمة بالنشاط مهما امتد الزمن على عكس

أدائها بمفرده فمن الممكن أن يكون قد قصد أن الإنسان في تأدية أفعال فاضلة يحتاج إلي جهود جسدية من الحجم الذي يجعل الواحد ينبغي أن يتخذ الكثير من حالات التوقف للراحة ، مما يجعل أنشطة المرء متقطعة ، أو لأنه في هذه الحالة سوف يكون شديد الانشغال ولفترة طويلة بأشياء عديمة الأهمية كان من الواجب أن يتحرر منها ليركز على أنشطته الأعظم سمواً ، أو من المحتمل أنه قصد أن العيش في عزلة يتسبب في جعله يفقد القدرة على أن يغدو مهتما اهتماما إيجابياً بالأشياء ، حتى ولو كانت من الأشياء الممتعة له ويؤديها أداءً منفرداً.[٤١٢] إن للأنشطة الجماعية قيمتها العظيمة لأي موجود بشري طالما أنها تمكن المرء أكثر من الأنشطة الفردية ــ أن يغدو مساهماً مساهمة مستمرة ومقرونة بالسعادة في الأشياء لثلاثة أسباب: ١- تمده باحساس مباشر ومستمر بأن ما يجده شيقا وجديراً هو كذلك في الحقيقة طالما أنه يرى خيريته متفقة مع خيرية غيره في هذا الجانب. ٢- تقوي من ارتباط المرء بأعماله الشخصية المباشرة وذلك بوضعها في سياق نشاط جماعي أوسع. ٣- توسع من مدى نشاط الفرد من خلال تأهيل المرء لأن يشارك في أنشطة وأفعال الأخرين من خلال العضوية في جماعة من الأفراد النشطين بشكل تعاوني.[٤١٣]

ويقودنا الحديث عن قيمة الصداقة في القضاء على الرتابة في ممارسة الفضيلة للحديث عن السبب الثالث الذي يجعل الصداقة ذات قيمة لا تقدر في حفظ الفضيلة والاتقاء بها ، وذلك من خلال ما يسمى المنافسة الأخلاقية . لقد سبق أن رأينا أن الإنسان الفاضل يغدو صديقاً لنفسه ــ كما قال أرسطو ــ بسبب أن العقل فيه يقنن ويرشد الجزء الحماسي الغاضب في نفسه فتتوافق رغبات "الحماسة" مع رغبات العقل ، وعلى ذلك فإن هذا الإنسان الفاضل عندما يمتد بحبه وصداقته التي يحملها لذاته إلي شخص أخر "ذات ثانية" ويتخذه صديقاً فإنه يحب هذه الذات الأخرى كرفيق منافس له في اكتساب الفضيلة. والإنسان بوصفه منافساً يحقق أفضل ما يمكن للسعادة لكلا من نفسه وصديقه فكيف يتم ذلك ؟

يعيد ارسطو تأويل معنى المنافسة تأويلاً كاملاً ، حيث تنصب القوة التنافسية هنا على عملية تقديم الخير للأخر ، وليس الفوز على حساب الطرف الأخر المهزوم ، حيث ينتصر المرء عن طريق بذل صور الاحسان إلي الطرف الأخر. فالطرفان يتنافسان أيهما يكون الأكثر بذلا للخير من الأخر طالما أنهما فاضلان يسيطر العقل فيهما على النفس سيطرة كاملة.[٤١٤] لقد كان للمنافسه عن اليونان معنى مختلف عن معناها اليوم ، ففي عصرنا المنافسة اشبه بالمعركة التي يجهز فيها المتنافسون أحدهم على الأخر كأعداء لدودين ، في حين كانت عند اليونان مباراة عامة على جائزة ، وكان التركيز على فعل المنافسة نفسه ، وهو فعل يتمتع بطعمه ويتذوقه ــ كفعل لذيذ ــ كل من المتنافسين والجمهور الحاضر على السواء.[٤١٥] واشار أرسطو في "الخطابة" إلي ذلك قائلا "يبهج الفوز ليس للمتنافس وحده ، بل لكل إمرئ حاضر للسباق. ويعنى هذا السرور المتضمن في الفوز أن أنواع الرياضة التنافسية ، وكذلك المنافسات الفكرية أشياء سارة في ذاتها، ويأخذ اختبار الأصدقاء صورة منافسة ، إذ أن الرفاق المتنافسين يسعى كل واحد منهما للفوز بما يكون نبيلاً من خلال أن يتفوق كل واحد منهما على الأخر في العمل الفاضل."[٤١٦]

هذه نوعية المنافسة التي قصدها أرسطو في الصداقة ، أما الجائزة التي يتم الفوز بها في نهاية المبارة فهي الأشياء النبيلة السامية في الحياة يقول "وكما يحدث في الألعاب الأولمبية أن الذي يفوز ليسوا من هم أعظم جمالاً ولا الأشد قوة ، وإنما أولئك الأعظم إصراراً على الفوز والمنافسة ، فكذلك يفوز هؤلاء الذين يسلكون مسلكاً فاضلاً بالأشياء النبيلة السامية في الحياة ، أشياء سامية وشبه إلهية ومليئة بالنعمة."[٤١٧] يقول " يُحفز أولئك الذين يكونون اصدقاء على اساس السمو إلي فعل الخير الواحد منهم للأخر طالما أن هذا علامة على السمو والصداقة ، ولا يمكن أن تنشب بين البشر الذين ينافس الواحد منهم الأخر في هذا الجانب ــ النشاط الفاضل ــ أي شكاوي إذ أنه يأخذ ثأره من خلال فعل الخير له بواسطة الأخر. تنتج المنافسة التعاونية "او المبارزة الأخلاقية" بين الأصدقاء الحقيقيين انتصاراً مشتركاً للطرفين ؛ لأن فوز طرف لا يستلزم بالضرورة الخسران من الطرف الأخر. إن فوائد المنافسة الأخلاقية أن كلا الصديقين سوف يربحا.إذ سوف يخرج فاضلاً أكثر مما لو كان لم يشارك في المنافسة أصلا ، فعندما يتنافس الناس ليكونوا فاضلين ، فإن ما يحققونه لا يأتي على حساب الطرف الأخر ، طالما أن كل فرد فيهما يحصل على الخير الأسمى.[٤١٨] والسبب في أن الصديقين في المنافسة الأخلاقية لا يترتب على مكسب احدهما خسران للأخر هو أن ما يتنافسون عليه هنا خيراتٌ النفس وليست خيرات الجسم ، ومن طبيعة الأولى أنها قابلة لأن يُشارك فيها دون ان تنل خسارة بأي طرف ، ويحدث هذا في الواقع للنبل وهو من خيرات النفس حيث يتنافس فيه الأصدقاء وذلك بانجاز الأفعال الفاضلة وهذا هو السبب في أن الطرف غير الفائز لن يشتكي من صدمته لأن كلاهما يهدف الخير.[٤١٩] وقد أكد أرسطو نفسه على هذا التغير عندما قال " إن الأخيار في صداقات الفضيلة يصبحون أفضل عندما يتفاعلون معاً ، ويصوب الواحد منهم الأخر ، فمن خلال الاختلاط بالأخر يتكون لدى كل طرف الانطباع عن الصفات التي يحبها."[٤٢٠]

إذا كانت المنافسة تقع بين أنداد متساوين فهل نادى أرسطو بضرورة تساوي الصديقين في مستوى الفضيلة حتى يمكن قيام المنافسة الأخلاقية بينهما؟؟ لقد سبق أن رأينا أن الأصدقاء عند أرسطو ينبغي أن يكونوا على درجة كبيرة من التشابه في الفضيلة وقدر بسيط من التفرد ، وأن هذا ما يعطي طعما للصداقة. وهنا أيضا نجد أرسطو يؤكد على أن حالة الصداقة الحقيقية تماثل حالة المدينة المؤلفة من مواطنين متساوين ومتشابهين وعلى درجة عالية من الفضيلة يقول " نحن نعرف أن المساواة والمشابهة هي الصداقة ، وخاصة المشابهة بين أولئك المساوين في الفضيلة ، إذ لا يمكن لصديق تحمل تفوق صديقه الدائم والمستمر عليه فيها ، فهذا أمر لا يُطاق لأنه يعني أنهما لم يعودا بعد اصدقاء."[٤٢١] وإذا كان أرسطو قد سمح بالنفي خارج البلاد لمواطني المدينة الذين تضخمت ثرواتهم أو نفوذهم بشكل يهدد أمن وسلامة المدينة فأنه في بدايات عرضه لتصوره حول الصداقة سمح أيضا بالنفي من الصداقة للصديق المتفوق بشكل لا يمكن دركه في الفضيلة. إنه من أجل الحفاظ على أمن وسلامة الصداقة لن يمكن لصديق تحمل إمكانية تفوق صديقه المستقبلي في الفضيلة طالما أن هذا سوف يؤثر فيقود إلي أن يتقدم عليه بمسافة عظيمة في السباق ولا شيء أكثر من ذلك يدمر الصداقة ، فلن يصادق الشبيه إلا ذلك الذي يظل شبيهاً به.[٤٢٢] لكن

أرسطو عاد فعدل من موقفه بعد أن تقدم في العرض فعمل على التوفيق بين المساواة في الفضيلة بين الصديقين وبين مشروعية طموح كل واحد منهما في التفوق والسمو الأخلاقي ، حيث أكد على أن الجانب الروحي في الصديق يطالب بضرورة أن يظل الصديق على نفس النوعية التي كان عليها في حين يطالب العقل من جانبه بأن من حق الأصدقاء أن يسعي ــ نظراً لكونهم أخياراً ــ بقدر ما أتوا لأن يجعلوا أنفسهم خالدين ، يعيشون بما يتوافق مع الشيء الأسمى. ويؤكد على وجود إنسجام بين المطلبين : حيث يسود العقل على نفس الإنسان ويستجيب له الجانب الروحي ، ومن ثم يستمر العقل في العمل على تحقيق أسمى خير للصديق من أجل سعادة هذا الصديق وجدها حتى ولو كان هذا سوف يعنى أنه سوف يصبح شبيهاً بالإله في السمو . وفي مثل هذه الحالة لن تستمر صداقتهما فحسب في الإزدهار بفضل صحبتها ، بل سوف يستمر كل واحد منهما في تحفيز الأخر لأن يغدو الأفضل بواسطة أنشطته هو الخاصة ، وأيضا بواسطة تحسين واصلاح الأخر.[٤٢٣]

هناك آثار عظيمة للمنافسة الأخلاقية التي تفجرها الصداقة بين الصديقين إذن وهناك من أجمل هذه الآثار على النحو التالي[٤٢٤]: ١- بفضلها تظل الأفعال النبيلة موضع رغبة شديدة ودائمة من جانب الأصدقاء وكأنها موضوعات جديدة للمنافسة لم يسبق وجودها. ٢- تتيح تدريباً من مستوى عال على الفضيلة ينشأ من صحبة الأخيار . ٣- تتيح إحساساً بالمتعة من انجاز الأفعال الفاضلة بشكل مستمر ورتيب ، فمن المحتم أن يُحس بالمتعة هنا بسبب صديق المرء الذي يعمل كمهماز محفز له. يقول معبراً عن ذلك "بينما لا يكون سهلاً أن يستمر المرء في النشاط المتواصل من أجل ذاته يكون هذا النشاط نحو الأخرين وبسببهم سلوكاً أيسر، ومن ثم فإن نشاطهم نحو الأخرين سوف يكون أطول في الإستمرارية ويكون ممتعاً في ذاته."[٤٢٥] ٤- مصدر للنشاط المتجدد، لأنه من المستحيل أن يتنافس الإنسان مع نفسه، ومن ثم لكي تكون عنده دافعية قوية تحتاج إلي التشجيع من الصديق. يقول أرسطو " تحفز الصداقة إلي إنجاز الأعمال النبيلة في الأشياء التي تكون جوهرية للحياة، الاثنان يتقدمان معا وذلك لأن البشر بفضل الأصدقاء يغدون أكثر قدرة على كلا من التفكير والفعل."[٤٢٦]

رأينا فيما سبق كيف تمثل الصداقة عند أرسطو مكوناً جوهرياً من مكونات الحياة الفاضلة ، فهي تسهم في عملية الوعي بالذات وما يترتب عليه من إحساس بالمتعة ، وتسهم في القضاء على الرتابة والملل التي قد تنتابنا من طول ممارسة الأنشطة الفاضلة ، وأخيراً تقودنا إلي الرقي والتقدم الأخلاقي من خلال حفزنا حفزاً قوياً على الأفعال الفاضلة نظرا لما يصطحب الصداقة من منافسة أخلاقية بين الصديقين. ومن هنا فإن أرسطو يقول بما هو أكثر من مجرد القول بأن الصداقة تجعل الفضائل أكثر امتاعاً وتشويقاً حيث يقول " تجعل الصداقة عيش حياة الفضيلة أمراً ممكناً أصلاً ، .. ويتحقق هذا في حالة الفضيلة من خلال العلاقات المستمرة مع أولئك الذين يشاركوننا هذا الحب ، يتم الوصول إلي الخيرية من خلال الحب المتبادل بين الأصدقاء ، فهذا السعي المشترك التعاوني نحو الخير هو الذي يجعلنا أخياراً.[٤٢٧]

إن أرسطو لا يسمح فحسب للصداقة أن توجد داخل نظريته الأخلاقية ، بل ويجعلها أيضا أمراً أساسياً من أجل التعبير عن الفضيلة.[٤٢٨] حتى أنه يمكن القول بأن

مفتاح نظرية أرسطو الأخلاقية يكمن إلي حد كبير في نظريته عن الصداقة لأنه يؤكد على أن الصداقة تلعب دوراً جوهرياً في الرقي الأخلاقي. غير أن الملاحظة التي تأخذها عليه أن تصوره لا يخرج عن دائرة الخبرة البشرية الدارجة ، فقد انطلق بالشكل الذي هو عليه من الفروض الإنسانية الشائعة. لذلك هناك انتقادات عديدة تم توجيهها إلي تصور أرسطو السابق ، حيث ينقد "تشارلز كان" قوله بأنه من الممكن أن أصل إلي درجة رؤية أفكار ورغبات وأفعال صديقي بنفس درجة رؤيتي لأفكاري انا الشخصية بأنه برهان شديد التكلف وميتافيزيقياً ، كما أن صيغة "ذات ثانية" تظل في هذا التفسير تشبيهاً مبالغاً فيه عن ذلك الذي يكون مجرد حالة من حالات التشابه في النوع.[٤٢٩] وانتقد "جون كوبر" البرهان القائل إن الإنسان الفاضل المكتفى ذاتياً سوف يكون بحاجة إلي الأصدقاء لأن حضورهم أمر ممتع بإنه برهان واهي إذ أولاً: ليس صحيحاً أن حياة الإنسان الفاضل سوف تكون ناقصة عندما ينقصه شيء من الأشياء التي تكون طيبة بالطبيعة وفي ذواتها. ثانياً : أنه لا يمكن لأحد أن يحوز كل الأشياء التي تكون طيبة في ذواتها ، فهناك الكثير جدا من هذه الأشياء. ثالثاً: وحتى لو كان من المسلم به أن الوعي بالذات شيء طيب وهام لكي يشكل عنصراً ضرورياً من عناصر الحياة الكاملة فلن يترتب على ذلك أن الأصدقاء عنصر ضروري لهذه الحياة كما أنه ليس صحيحاً أيضا أن الوعي بالذات لن يكون متاحاً ــ أو قل لن يكون متاحاً على أفضل صورة ــ إلا من خلال ملاحظة أصدقاء المرء.[٤٣٠] ويواصل كوبر نقده بقوله أن لهذا البرهان صعوبات: إذ كيف يُفترض على أن المعرفة بالأخرين تجعل المعرفة بالذات ممكنة؟ ولماذا تعتمد المعرفة بالذات بأي درجة على المعرفة بأصدقاء المرء؟ وأخيراً لا يكفي أن نقول فحسب أن المعرفة بالذات أمر ممتع لأن البرهان لكي يغدو قوياً فإنه ينبغي أن تكون هذه المعرفة أمراً لازماً بشكل حقيقي للشخص الفاضل.[٤٣١]

وسار "تشارلز كان" على نفس هذا النهج في انتقاد قول أرسطو بأن معرفتي بذات صديقي تقود إلي معرفتي بنفسي ، فأكد على أن هناك مغالطة هنا لأنني لا أنا ولا صديقي متطابقين تطابقاً دقيقاً في العقل الفعال ، فنحن متماثلان فحسب لأن ذواتنا يوجد بينها وبين العقل في ذاته والذي يفعل فعله في كلانا ــ ولكن طريقة نظره وفعله ونشاطه في كل واحد منا مختلفة اختلافاً حتمياً ، فليس وعينا الفردي العملي هو الذي سوف يختلف فقط ، بل سوف تختلف المشكلات الحياتية التي يستخدم في حلها هذا العقل.[٤٣٢] كما أن هناك فارق بين وعي الإنسان بأفكاره ووعيه بأفكار صديقه ، فهناك اشياء حول أفعالنا وأفكارنا الشخصية نعرفها معرفة مباشرة في حين لا نملك سوى أن نأخذ وجودها مأخذ البداهة فيما يخص أفعال وأفكار الأخرين.[٤٣٣] وعلق أندروا ميتشيل على حل أرسطو للتعارض بين الاكتفاء الذاتي والصداقة بأنه يمثل نرجسية معدلة A modified Narcissism فالصداقة الأرسطية توسع انانى لحب الذات ليشمل الأخرين بالقدر الذي يشبهون به هذه الذات.[٤٣٤] أما الأساس الذي انطلق منه أرسطو والقائل عن الإنسان الفاضل أن الذي يكون مرغوباً عنده ينبغي أن يمتلكه فتعرض لنقد عنيف من "جون كوبر" إذ من المؤكد أنه سوف تكون هناك الكثير من الأشياء المرغوبة "بمعني ما" ولا نمر بخبرتها أبداً، أو حتى تتاح لنا الفرصة للمرور بخبرتها، وذلك لأنه يوجد الكثير جداً منها ونحن لا نعيش سوى فترة قصيرة من عمر الزمان،

وفي المقابل هناك الكثير من الأشياء التي يفعلها المرء انطلاقاً من الفضيلة وليس عن رغبة منه فيها.[٤٣٥]

٣- تحقيق السعادة للإنسان

لا يسمح أرسطو للصداقة أن توجد داخل نظريته الأخلاقية فقط ، بل رأيناه يجعلها أمراً ضرورياً من اجل التعبير عن الفضيلة ، وسوف نراه هنا يجعل العيش مع الأصدقاء سمة من سمات الحياة السعيدة الأساسية. فإذا كانت الأخلاق في اساسها عند أرسطو فن عيش الحياة السعيدة ، فقد أكد على أنه لن يتم بلوغ ذلك إلا من خلال هؤلاء الذين لديهم أصدقاء ، ذلك لأن الصداقة تتيح فرصة للظروف المثالية للسعي الناجح نحو التميز . فما الذي يجعل الصداقة أمراً ضرورياً من أجل تحقيق السعادة ؟

يبدأ أرسطو برهانه الخاص بقيمة الصداقة في تحقيق السعادة البشرية بالتأكيد على أن الفضيلة بمفردها ليست كافية لتحقيق السعادة ونحتاج بالاضافة إليها إلي خيرات خارجية معينة. وإن غابت هذه الخيرات ــ أو نقص منها شيء ــ أفسد غيابها السعادة مثل: طيب المنبت ، الأطفال الجمال الأصدقاء ..الخ يقول "لن نحوز السعادة حيازة تامة إذا كنا منعزلين عن الناس ، أو بلا خلفة من نسلنا ، أو إذا كان أصدقاؤنا وابناؤنا سيئين سوءاً شديداً ، أو جديدين ولكنهم ماتوا."[٤٣٦] هناك شيء تضيفه الصداقة من جانبها إلي السعادة يجعل الرجل السعيد سعادة تامة بحاجة لازمة إلي الأصدقاء، فالسعادة لا تتطلب الفضائل وحدها فحسب ، بل وتتطلب الأنشطة التي تتجدد من خلالها هذه الجوانب من السمو ، إذ ينبغي أن تتجسد في السلوك غايات الشخصية ، ويحتاج تجسدها إلي أن تكون الوسائل والفرص الملائمة لذلك متاحة ، ومن بين الوسائل الخيرات الخارجية وعلى رأسها الأصدقاء.[٤٣٧] يقول " من الواضح إذن أن السعادة تتطلب الخيرات الخارجية ، وذلك لأنه من المستحيل أو ليس سهلاً إنجاز الأعمال المجيدة دون وسائل مساعدة لذلك ، لأن المرء ينجز الكثير من الأفعال من خلال استخدام الأدوات الملائمة كالأصدقاء ، المال المنصب ، ونقص هذه الخيرات يتلف سعادة الإنسان."[٤٣٨] ينظر أرسطو إلي السعادة إذن على أنها الحياة التي يتم عيشها وفقاً لمقررات الفضيلة ، وهذا يتحقق بالعيش في رفقة الأصدقاء ، لذلك كانت الصداقة عنده نتيجة عملية لما تقتضيه الحياة الكاملة الزاهرة.[٤٣٩] ومن هنا جاء تعريف أرسطو للسعادة بأنها "الحياة المؤلفة من الصداقات القائمة على الفضيلة."[٤٤٠]

يحكم أرسطو على رأي القائلين بأنه عندما يكون الحظ في ركابك فما حاجتك إلي الأصدقاء يحكم عليه بالغرابة إذ يقول "غريب أن يُعزى إلي الإنسان السعيد كل الخيرات في حين لا يعزى إليه تكوين الأصدقاء الذين من المعتقد أنهم الأسمى من بين الخيرات الخارجية ، وذلك لأنه إذا كان الطابع المميز كثيراً للصديق أنه يسدي الخير للأخر أكثر من كونه يتلقاه منه ، وإذا كان نشر المرء للخيرات من حوله السمة المميزة للرجل الفاضل وللفضيلة ، وإذا كان من الأنبل تقديم الجميل للأصدقاء على تقديمه للغرباء ، فسوف يكون الرجل الفاضل بحاجة إلي أناس لكي يقدم لهم الجميل."[٤٤١] سوف يكون بحاجة إليهم ليس كجالبين للمنافع عليه ، بل لأنهم يتيحون له ميداناً لممارسة أنشطته الإحسانية، ذلك لأن أسمى أنشطة الإنسان ينبغي أن تُمارس

ليس على إنفراد، وإنما كعضو في مجتمع. سوف يحتاج إلي الأصدقاء الذين يمكن له أن يفيدهم ، إذ أن انتظار سعادتهم يثير احساساً عظيماً بالمتعة شبيه بالاحساس السار الذي يحسه المرء لنجاحه الشخصي.[٤٤٢] لذلك فأمر غريب عند أرسطو تصور رجل سعيد تام السعادة بدون أصدقاء، ولن يختار أحد ابداً أن يملك العالم أجمع شريطة أن يعيش وحيداً .

يحتاج المرء السعيد إلي شخص من الممكن له أن يمنحه إحساناته، وذلك لإيمان أرسطو بأن السعادة نشاط عملي متوالي. وترى "تانسي شيرمان" أن أرسطو في برهانه يشير إلي فئتين من الخيرات الخارجية اللازمة للسعادة : الخيرات التي تكون أدوات للسعادة مثل تلك الأشياء النافعة والمعاونة بالطبيعة كأدوات، وفئة الأشياء التي ليست وسائل فحسب للسعادة بل لازمة لتحقيقها، ويدخل الأصدقاء في كلا النوعين من الطيبات. فمن الممكن أن يكونا أدوات تمكننا من تحقيق الغايات الجزئية عندما نعجز بأنفسنا عن تحقيقها، ومن الممكن أن يكونا لازمين بشكل ضروري للسعادة طالما أن قيمة الصداقة الباطنية من نوع عظيم الجوهرية لأنها توفر كلا من صورة الحياة واسلوبها والذي في ظله يمكن للإنسان أن يحقق فضيلته ويبلغ سعادته.[٤٤٣]

إن السبب وراء احتياج الإنسان المكتفي ذاتياً إلي الأصدقاء هو نفسه السبب الذي يجعل المتدين محتاجاً إلي الفقراء والمساكين ، فإذا كان التقي يحتاج إليهم لتحقيق ركن من أركان الدين عنده وهو الإحسان، فكذلك المكتفي ذاتياً عند أرسطو يحتاج إلي الأصدقاء من أجل أن يكون محسناً إلي شخص ما، لأن الإحسان ركن من أركان السعادة لأن الرجل السعيد الفاضل ينبغي أن يفيض بهذه الفضيلة على غيره، وفي هذه الإفاضة متعة له، وذلك لأن السعادة تكمن في النهوض بما لدى المرء من استعدادات . وتقديم الخير للأصدقاء جزء من الارتقاء الأخلاقي بذات المرء ، إن كمال الفرد عند أرسطو معتمد لبعض الشيء على العوامل الخارجية والموجودات البشرية الأخرى.[٤٤٤] ولكن لا ينبغي أن يُفهم أن الصداقة في هذا الدور تمثل تعزيزاً أو زينة خارجية للسعادة ، بحيث تتزين سعادتنا عند حضورها ، وتفسد عند غيابها.فهذا التصوير يبخس ما للصداقة من قيمة باطنية في السعادة، وذلك لأن ما تقتضيه الصداقة من قيمة باطنية للسعادة ليس بعض الزينة ، أو لمسة تأييد لما يكون كاملاً بشكل منطقي من قبل ، بل إنها في نظر أرسطو فضيلة حافظة ، إنها في الحقيقة اللبنة البارزة في قدر كبير من الحياة السعيدة.[٤٤٥] إننا في الصداقة لا نحتاج إلي شخص ما لكي نقدم إحساننا إليه فحسب ، بل نحتاج إلي الاجتماع مع هؤلاء الذين تعني حياتهم لهم ما تعنيه حياتنا نحن إلينا. ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الاحسان والصداقة، ففي الأول نتفضل بالعطف على شخص محتاج دون أن نعرفه ، أو قل دون أن نهتم بما يكون عليه المحتاج من شخصية ، فكل ما يدفعنا إلي ذلك الظروف التي تصادف أن وجد هذا الشخص المحتاج نفسه فيها، وليس بسبب الشخص نفسه، فهناك نوع من الجهالة في استجابتنا.[٤٤٦] لذلك عرف أرسطو الإحسان بأنه "رغبة في منح مساعدة لشخص في حالة احتياج."[٤٤٧] أما الصداقة فعلى العكس نوجه التعاطف فيها نحو شخص بعينه لأن هذا الشخص بعينه من يحتاج للمساعدة وليس أخر. وترغب الخير لصديقك من أجل ذاته، في حين أنك تعطف على المحتاج من أجل مصلحتك ومصلحته معا، حتى يقول

الناس عنك محسناً، أو تشعر بالرضى عن نفسك لكونك سلعدت محتاجا.[٤٤٨] وقد تسأل أرسطو حول علاقة المحسن بالمحسن إليه لماذا يبدو الأول يحب الثاني أكثر ؟ وفي إجابته على هذا السؤال نلمح لمسة إنسانية حانية حيث رفض أن يشبه العلاقة بعلاقة المقرض بالمدين ، ويشبهها بعلاقة الفنان بعمله الفني ، حيث نجد الفنان يحب عمله أكثر بكثير من كونه محبوباً من هذا الأخير ، يحبه مثلما يحب الأب ابنه ، لأن الفنان يرى نفسه متجسدة في هذا العمل ، ومن ثم ينبغي أن نبحث عن العنصر المثالي في فعل الإحسان وذلك لأن المحسن يُجسد في المتلقي .[٤٤٩]إن هؤلاء الذين قدموا خدمة للآخرين وأحسنوا إليهم يشعرون بمشاعر الصداقة والحب لهؤلاء الذين احسنوا إليهم حتى ولو كان هؤلاء الأخرين لا ينفعونهم بشيء ، بل ولن يستطيعوا أن ينفعوهم في المستقبل. وشخص أرسطو السبب الذي يقف وراء ذلك في أن الحياة عند كل الناس شيء مفضل وموضع حب ، ونحن نشعر بالحياة من خلال النشاط والعمل، والعمل بمعنى ما عملية الوجود في النشاط ، وبالتالي يحب الإنسان عمله وابداعه لأنه يحب الحياة، وهذا أمر مغروز في طبيعته ، وفي الوقت نفسه فإن النبل هو ما يستهدفه المحسن من وراء إحسانه، ولهذا فهو يسر بالثمرة الناتجة من عمله هذا، في حين لا يجني المتلقي أي شيء نبيل من المحسن، بل يجني شيئاً مفيداً، وهو أمر أقل جلباً للسرور، وأقل عرضة للحب في النفس.[٤٥٠]

وإذا كان سقراط قد اعتقد أن الصداقة رغبة في اشباع نوع النقص ، فإن أرسطو لا يوافق على ذلك ، إن النقص الوحيد الذي ينبغي أن يُشبع هو الحاجه إلي الأصدقاء.وكلما زاد نصيب المرء من النقص كلما غدا الأقل قدرة على الصداقة.[٤٥١]ولكن لا مكان في هذه الصداقات لمن يدخل فيها نادما منتظرا اليوم الذي فيه يتم إكمال أوجه الضعف في المرء فيغدو بمقدوره أن يعيش بشكل كامل على موارده الخاصة ، إذ لما كانت أوجه القصور المقصودة هنا أوجه قصور جوهرية فيه بوصفه موجود بشري ، أي أوجه أساسية في كون الشخص الذي يكون عليه ،فليس من المعقول أن تُشكل نوازع المرء على أمل إجراء تعديلات في هذه الجوانب.[٤٥٢]إن السبب الذي يجعل المرء بحاجة إلي أن يكون الطرف المقدم للمساعدة في الصداقة ليس لأن المرء يحتاج إلي أن يعطي من أجل أن يحق له أن يأخذ ، فهذا سوف يحول الحب الجارف لصديق المرء إلي مجرد وسيلة تقود إلي الفوائد المتحصلة ، وإنما السبب أن في كل ذلك كمال لسعادته وفضيلته الشخصية. فعندما يعيش المرء في وسط ممتلئ بالأخيار ، ويتعاون مع كل واحد منهم كلما سنحت له الفرصة في روح مفعمة بالتعاطف فإن هذا يوفر مجالاً كافياً للنشاط الفاضل وللحياة السعيدة.[٤٥٣]فلا يحتاج الإنسان المكتفي ذاتياً بشكل تقوقعي إلي الأخرين كأدوات أو وسائل للحياة ، وإنما يحتاج الإنسان للأخرين ليشاركوه غاياته ، ويصنعوا معا حياة مشتركة ، ومن ثم تتيح لنا النوعية السامية من الصداقة الصحاب الذين يمكن لنا أن نشركهم في خيرات واهتمامات حياة هادفة مشتركة، ويشكل هذا النوع من السعادة المشتركة الحياة المكتفية ذاتياً الحقيقية.[٤٥٤] يقول" يمكننا أن نحسن الحكم علي الأخرين ونحن مكتفين

ذاتياً أفضل منه ونحن في حالة احتياج، وعلى الأغلب نحتاج إلي الأصدقاء الذين يكونون جديرين بأن يشاركونا في حياة مشتركة."[٤٥٥]

وأرسطو في برهانه السابق يعتمد على الخبرة العملية ، لقد كان من المستحيل عليه تصور الحياة الكاملة بدون الأصدقاء ، وهو أمر من المستحيل لدينا نحن في حياتنا العملية اليوم ، فأيا ما كانت الأشياء الأخرى التي من الممكن أن تمثل الأفضل، فإن الجميع سوف يتفق على أن الصداقة جزء أساسي منها.[٤٥٦] فعندما يكون موجودان بشريان أصدقاء بالمعنى الحقيقي فإن الواحد منهما يحب الأخر ، ويتضمن حبهما أن كل واحد منهما يتمنى الخير للأخر ، يتمنى فعل كل ما يمكن أن يكون ضرورياً للإرتقاء بحياة الأخر. ومن ثم سوف يتصرف كل واحد منهما انطلاقاً من هذه الصداقة بما يحقق السعادة للأخر ، ولن يفعل أي شيء يضر بالأخر من خلال إعاقة سعي الأخر وراء السعادة.[٤٥٧] وهذه زاوية أخرى تظهر مدى قيمة الصداقة في تحقيق السعادة الإنسانية ، فالصديق الحق يسعى جاداً في مساعدة صديقه لبلوغ سعادته ، بل وحتى "قد يتخلى عن الأفعال لصديقه ، وأحيانا يجد من الأظرف أن يغدو العلة لفعل وسلوك صديقه الفاضل من أن يكون العلة لسلوكه هو الشخصي."[٤٥٨]

وهنا نتسأل مع جون أدلر: هل يكون لدى الأخرين الحق في أن يتوقعوا منا أن نتصرف إيجابياً في سبيل مساعدتهم في سعيهم وراء السعادة؟ والإجابة بالنفي وفقا لفهم أرسطو للإختلاف بين الصداقة والعدالة . إن ما يلزم فرداً بمساعدة الأخر لكي يحصل على الخيرات الحقيقية المطلوبة للحياة السعيدة هو سخاء الحب وليس إلزام العدالة ، وهذا هو السبب في أن القوانين التي تفرضها المدينة لا تلزم الأفراد بأن يساعد الواحد منهم الأخر في سبيل الوصول إلي سعادته مساعدة إيجابية ، وإن كانت قد تلزمه بعدم التسبب في تعطيل أو عرقلة أو احباط هذا الجهد لبلوغ السعادة.[٤٥٩] ولكن أرسطو يشترط هنا أن الصداقة لكي تكون مساهمة في سعادة الأخرين أنه يتعين على الفرد من أجل التوحيد بين سعادته وسعادة الشخص الأخر الشخصية لأجل ذاته يتعين أن يكون بينهما توافق في العقل وفي العمل. ولن يمكن بلوغ هذا النوع من الثبات إلا بواسطة صاحب فضيلة يقول " يكون العظماء من الناس على توافق مع أنفسهم ومع كل واحد من فئتهم طالما أنهم يكونون من الناحية العملية عقلاً واحداً ، لأن أمنياتهم ثابتة.[٤٦٠]

أما الزاوية الثالثة التي تكون للصداقة فيها قيمة عظيمة في تحقيق السعادة فقد اعتمد أرسطو فيها على الطبيعة البشرية لبيان أن الناس لا يمكن أن يغدو سعداء بدون الأصدقاء ؛ إذ لما كان البشر ــ كما يقول ــ موجودات مدنية ، ميالة بالطبيعة للعيش مع الأخرين ، ولما كان لدى الإنسان نزوع طبيعي لذلك فمن المحتم أن جزءاً من وظيفة أو غايته في الحياة على وجه التحديد أن يكون في سعادة مع الأخرين.[٤٦١] لقد كانت حياة الجماعة قائمة في قلب حياة الفرد عند أرسطو ، حقا كان من الممكن أن توجد المدينة بدون الحياة الفردية لكن الحياة الفردية ما كان يمكن أن تقوم بدون المدينة، ولا يمكن للبشر أن ينعزلوا عن المدينة وإلا امتنع كونهما بشراً أصلاً .. فإذا كانت وظيفة الإنسان في العالم ــ تحقيق ذاته ــ تكمن في بلوغ الحياة الفاضلة ، فإن هذه الحياة لا يمكن أن تُعاش إلا داخل المدينة مع مجموعة

الأصدقاء.[٤٦٢] فمع الأصدقاء يتعزز ــ كما يقول أرسطو ــ ما لدى الإنسان من حافز نحو الإنجاز ، فوجود المرء في صحبة أناس أخيار أخرين من الممكن أن يساعده على أن يرتقي بحياته الشخصية ، باختصار سوف يكون بوسع المرء أن يصل إلي حياة أفضل لو كان لديه أصدقاء.[٤٦٣] فنحن عندما نشترك مع الأخرين في فعل الأشياء نشعر بالحماس والحمية ، فتسري الحيوية في أمور حياتنا ، وهي حيوية غالباً ما تغيب عن الفعل الفردي مما يسهم في جلب السعادة لنا، لأن السعادة ليست حالة سلبية من حالات إمتلاك الفضيلة، بل تحقيق فعلي إيجابي لما لدينا من جوانب فاضلة ،والنشاط والفاعلية سمة مميزة لسعادتنا. وتسهم الصداقة إسهاماً مباشراً في هذا التحقيق بوصفها ميسرة للنشاط، فكما أنه سوف يكون سخيفاً أن نصف شخصاً ضيع حياته في النوم بأنه سعيد، كذلك سوف يكون سخيفاً أن نعتقد في قدرتنا على توفير النشاط الذي تتطلبه السعادة في حالة الغياب الكامل للأصدقاء .[٤٦٤]

يبقينا الأصدقاء فعالين وحيوين ، ليس مثلهم كحبة فيتامين من الممكن لنا أن نتناولها ، وإنما يثيرون فينا اهتمامات وغايات جديدة من خلال جرنا إلي أنشطة جديدة تحمل بصمة رسالتهم . إنهم ليسوا مجرد وقود لنا ، بل منشطين ومساعدين ، فما يمكن للأصدقاء أن يوفروه ــ كنقيض للمحسنين المتباعدين ــ هو مشاركة في النشاط ترسم وتحدد الغاية التي ينبغي أن تُشجع.[٤٦٥] فإذا كانت دولة المدينة لا تسهم في وضعها المزري في اكتساب الفضائل ، فإن الصداقة كفيلة بتحقيق ذلك ، إننا لا نحتاج الأصدقاء لكي يكونوا متلقين لأفعالنا الفاضلة فحسب ، بل نحتاج إليهم ايضا ــ وبشكل أعظم قوة ــ بوصفهم الأفراد الذين في رفقتهم نُصقل بالخير بشكل متوالي.[٤٦٦]

لا يحاول أرسطو في براهينه السابقة بيان أن الإنسان السعيد سوف يكون بحاجة إلي الأخرين من الناس في حياته ، أي أنه لن يعيش وحيداً منعزلاً فقط ، بل يحاول بيان أنه سوف يحتاجهم كأصدقاء له على وجه الدقة ، أي بوصفهم أخرين يشبهون نفسه في وجودها وسعادتها ، وسوف يعتني بتحقيق مصلحة مباشرة لهم من أجل ذواتهم وليس من أجل ذاته ، ومن هنا يتحول حب الذات الفطري إلي أنانية عاقلة ، أو إلي السعي المتنور وراء مصالح الفرد النبيلة.[٤٦٧] أنانية تسعى وراء مصلحتها الشخصية وفي ذات الوقت إيثارية في جانبها الموضوعي. ولا تعارض بين الإثنين ، فرغم أن الصداقة في أساسها تتضمن عند أرسطو عنصر المصلحة الذاتية ، إلا أن صديق الفضيلة قادر على حب الطرف الأخر لذاته لأنه منعم وباسط للخير . وهذا ما كان يقصده أرسطو ــ في الأرجح ــ عندما اشار إلي أن الفاضلين من الناس أخيار الواحد منهم مع الأخر ، وأخيار مع أنفسهم.[٤٦٨]إنني أجد في نشاط صديقي سعادة شخصية لي فتصبح الأنانية الهوائية الموجهة نحو تحقيق سعادتي الشخصية إيثارية عملية ، طالما أن سعادتي وسعادته يتم تتجاوزهما.[٤٦٩]

هناك زاوية رابعة وأخيرة تكون للصداقة فيها فاعليتها على السعادة البشرية اشارت إليها "تانسي شيرمان" هي زاوية التقص العاطفي، أو التوحد في الفكر. إذ بسبب معرفتي الوثيقة بصديقي أغدو قديراً على تخيل الشعور الذي يشعر به هذا الصديق ، ومن ثم فإن سعادة صديقي تؤثر في سعادتي ، فعندما يحسن صديقي التصرف فإنني أشعر أنا نفسي بالسعادة.[٤٧٠] ويوضح أرسطو هذا التقمص العاطفي في

قوله "كلما كان الارتباط بالصديق أكثر متانة كلما أصبحت قادراً أفضل على المساعدة في تلبية إحتياجات الصديق ومشاركته في مسراته وأحزانه."[٤٧١] وأكد في "الأخلاق اليوديمية" على نفس هذا التقمص العاطفي بقوله" إن الأصدقاء قد لا يبدون فحسب توحداً وجدانياً بينهما من نوع ما بل تقمصاً عاطفياً. شعور بنفس الألم ، فعندما يكون صديقي عطشاناً أشاركه وجدانياً في عطشه ، وتحديد درجة قربي أو بعدي عنه تكون بوجود هذا التقمص أم لا."[٤٧٢] إن الصداقة كما سبق أن رأينا تمثل لدى أرسطو إمتداداً للذات في شخص الصديق ، ومن ثم تكون إنجازات الصديق مصادر فخر لنا ، لأننا نحس بيننا وبين أنفسنا وكأنها إنجازات لنا شخصياً ، وكذلك إخفاقاته تكون مصدراً للخجل عندما أنظر إليها من نفس المنظر. لذلك فعندما يحسن أطفالنا التصرف نشعر بالعظمة والغرور لما يحققونه من انجازات، في حين نشعر بالخجل عند ارتكابهم لأفعال مشينة وكاننا نحن الذين اقترفنا الخطأ. ونحن نشعر بذلك إنطلاقاً من الاحساس بالإنتماء إليهم والتوحد معهم ، فنحن نتوحد معهم ونشارك في خيرهم.[٤٧٣]

نستطيع أن نرى من الزاويا الأربع التي نظر من خلالها أرسطو إلي قيمة الصداقة في جلب السعادة البشرية أنه سلم بأننا نحتاج الأصدقاء من أجل تحقيق ما نعجز عن تحقيقه لأنفسنا ، والشيء الوحيد الذي لا نستطيع أن نقدمه لأنفسنا هو السعادة إذ لا يمكن أن تُكتسب بشكل منعزل إنفرادي لأنها على وجه التعريف علاقة . لقد فطن أرسطو إلي أن الاكتفاء الذاتي عند الإنسان مختلف عن مثيله لدى الإله فهذا الأخير نظرا لقدرته التي لا تحدها حدود ليس بحاجة إلي الأخرين من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي الإلهي ، في حين أن الإنسان على العكس ذو قدرات محدودة، ومن ثم فهو عاجز عن تحقيق الإكتفاء الذاتي لنفسه بنفسه، ومن ثم يحتاج إلي الأخرين للحصول عليه . وقد أشار أرسطو إلي هذا الفارق في "الأخلاق اليوديمية" فقال "لأن سعادتنا أمر علائقي أما في حالة الإله فسعادته تكمن في ذاته هو. "[٤٧٤] وفي "الأخلاق النيقوماخية" أكد على إجتماعية الإكتفاء الذاتي بقوله " لسنا نعني بالإكتفاء الذاتي حياة إمرئ منعزل مع نفسه، إنسان يعيش حياة متقوقعة ، وإنما حياة إنسان يعيش من أجل آبائه وأطفاله وزوجته ، وبوجه عام لأجل كل أصدقائه المحيطين به من الرفاق طالما أن الموجود البشري كائن إجتماعي بالطبيعة."[٤٧٥] ومن هنا وجدت "تانسي شيرمان" واجباً عليها التأكيد على أن الإكتفاء الذاتي الذي قصده ارسطو هو اكتفاء ذاتي فيما يتعلق بالحياة السعيدة وليس فيما يخص مجرد الحياة فقط ، ومن ثم فاسمى أنواع الصداقة لا يمكننا فحسب من أن نعيش حياتنا ، بل من أن نزدهر وننضج.[٤٧٦]

وقد ترك تأكيد أرسطو السابق على احتياج الإنسان المكتفي ذاتياً إلي الأصدقاء أثره الكبير على أبيقور والذي اعترض على الرواقيين لقولهم بعكس ذلك. والشيء الهام ملاحظته في سياق البرهان الأرسطي السابق لقيمة الصداقة في جلب السعادة هو أننا نستطيع من خلال دراسة الصداقة تبين كيف تكون حياة الفضيلة والسعادة متداخلتين تداخلاً شديداً، بل ومن الممكن أن يوحد بين الاثنين في الواقع.[٤٧٧] غير أن "ماري جيانوس" انتقد برهان ارسطو السابق ووصفه بأنه برهان بارد فما يقوله أرسطو فيه هو أن الاختلاط بخبرة الأخرين يزيد من سعادتنا ، غير أن هذا ليس صحيحاً في الإحساس الحاضر المباشر ، بل من المرجح بشكل مساوي ايضا أنه يزيد

من عذابنا ، فإما أن نظرة أرسطو الإجدالية نظرة مفرطة في التفاؤل / وإما أن إختيار الأصدقاء مقيد للنجاح.[٤٧٨]

تعقيب

على الرغم من أن أرسطو قد أعلى من فضيلة الصداقة إعلاءً عظيماً حتى جعل أهميتها تفوق العدالة في مجتمع دولة المدينة ، وكرس لها خمس المساحة التي شغلها فكره الأخلاقي ، ورغم أنه كشف عن أسسها واعتبرها ضرورة نفسية وإجتماعية وسياسية ، ورغم براعة المعالجة ودقة العرض، فإن تصور أرسطو للصداقة كان تصوراً عنصرياً متعصباً : عنصرياً لأنه استبعد المرأة من الدخول في صداقة الفضيلة فيمانه الخاطئ بسمو الرجل على المرأة عقلياً ونفسياً، ومتعصباً لأنه قصر رؤيته على دولة المدينة ولم يمتد بصداقته إلي صداقة الإنسانية جمعاء من أجل تحقيق السلام والاخاء العالمي مثلما دعا السفسطائيون قبله والرواقيون بعده ، ولا شك أن تعصبه لدولة المدينة أعماه عن ذلك. ولكن رغم هذين العيبين فإنه يتعين علينا أن نقول مع "بانجلي" أن مناقشة أرسطو للصداقة تحيي الأمل في إمكانية أن يعثر المرء في مملكة الصداقة على كل نبل الفعل الفاضل بأقصى درجاته دون التضحية النهائية بالسعادة ، ومن ثم يُعثر على كل من برهان على دعوى أرسطو القائلة بوحدة الفضيلة مع السعادة ، وعلى إجابة ــ جزئية على الأقل ــ على السؤال الخاص بما ينبغي أن تكون عليه الأنشطة والاهتمامات الرئيسة للحياة الفاضلة.[٤٧٩] كما أن تصور أرسطو للصداقة يحتضن كل الفضائل الأخرى التي تمت مناقشتها من قبل على مدى كتاب الأخلاق كله .

وكم كان لتصور أرسطو السابق في الصداقة من أثر بالغ على الذين جاءوا بعده. فقد تأثر به شيشرون في كتابه "في الصداقة" حيث اعتقد مثل أرسطو في أن الصداقة الحقيقية ليست ممكنة القيام إلا بين الفاضلين من البشر ، صحيح أن هذه الصداقة توفر لنا منافع وفوائد مادية لكنها لا تسعى وراءها. وفي العالم الإسلامي تأثر ابن مسكويه في الفصل الذي كتبه عن الصداقة في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" بتصور أرسطو ومن دلائل ذلك أنه يذهب مثله إلي أن الناس يسعون في حياتهم لنيل واحدة أو أكثر من حاجات ثلاث وهي : اللذة أو المنفعة والفضيلة ، ويصنف ضروب الصداقة تماشياً مع هذا التصور إلي ثلاث ضروب مثل أرسطو : صداقة اللذة ، وصداقة المنفعة ، وأخيرا صداقة الفضيلة ، وردد في ذكره لخصائص كل ضرب منها تقريباً نفس آراء أرسطو بلا أدنى تغيير.[٤٨٠]

الهوامش

[1] - د/ أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال ، دار الثقافة، القاهرة، د.ت ، ص ٣٢.

[2] - L. S. Pangle:- Aristotle and the Philosophy of Friendship, Cambridge University press, 2003 p.p.1-2

[3] - د/ اسامه سعد أبو سريع : الصداقة من منظور علم النفس ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٧٩ ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والعلوم ، الكويت ، نوفمبر ١٩٩٣ , ص١٩-ص٢٠

[4] - L. S. Pangle : Op Cit , p. 2.

[5] - Ibid, p. 3.

[6] - Ibid. p. 196.

[7] - J.M. Cooper : "Aristotle on the forms of Friendship" The Review of Metaphysics, Vol.30, No4, June 1977, p. 619.

[8] - L. S. Pangle: Op cit, p.2.

[9] - J.M. Cooper : Aristotle on friendship" Essays on Aristotle's Ethics, Ed by: A.O. Rorty, University of California press, Berkeley, 1980, p.30.

[10] - بارتلمي سانتهلير : مقدمة ترجمته الفرنسية للأخلاق النيقوماخية ، تعريب: د/ أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٥ ص ٩٣.

[11] - M. Pokaluk: Other Selves, Philosophers on Friendship, Hackett Publishing Company, Inc, Cambridge, 1991, p.28

[12] - Julia Annas: Plato and Aristotle on Friendship and Altruism, Mind, 86, N344, Oct. 1977, p.532.

[13] - L. S. Pangle :- Op Cit, p. 19.

[14] - P. Huby: Greek Ethics, Macmillan, London,1969, p.62.

[15] - Th. Gomprez : Greek Thinkers, Vol.1V, Trans by: G.G. Berry, John Murray, London, 1912, p. 285-p. 286.

[16] -D. Foss: Know wel: your friends, Friendship and self- Knowledge http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html

[17] - Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 1V, p.286.

[18] - M. P. Gianos :Aristotle, Twayne's World Authors Series 211, P.136.

[19] - P. J. Wadell :Friendship and the Moral Life, University of Notre Dame press, Notre Dame, 1989, p. 58.

[20] - D. Foss : Op Cit, http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html

[21] - Ibid.

[22] - N. Sherman: Making A necessity of Virtue, Aristotle and Kant on Virtue, Cambridge University Press, 1997, p. 199.

[23] - D. Ross: Aristotle, Methuen &Co. ltd, London, 1971, p.230.

[24] - W. C. K. Guthrie : A History of Greek Philosophy, Vol. V1, Cambridge University press, Cambridge, 1990, p.385.

[25] - Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 1V, p. 284.

[26] - Aristotle: N.E, Trans by: D. Ross, in: Great books of WesternWorld, Vol.9,Ed By: R. M. Hutchins, Benton Publisher , Chicago, 1952. B. V111, 1, 1155a1-3.

[27] - Aristotle: NE.,B. V111,Ch. 1, 1155a29-33.

[28] - Aristotle: Topica, 3, 1, 117a1-4 .

[29] - J. Anna: Plato and Aristotle on Friendship, p. 552.

[30] - Aristotle: Rhetoric, trans by: D. Ross, in: The Great books of the Western World Vol.8, 2, 4,1380b35- 1381a5 .

[31] - Aristotle: EE. trans by: J. Solomon, The works of Aristotle, vol.9, Oxford university press, 1915, , 7, 6, 1240a24-5.

[32] - Aristotle: N. E. 8, 2, 1156a3-5.

- Ibid, 9, 4, 1166a1-7. 33
- Ibid, 9, 4, 1166a1- 9. . 34
- Aristotle: NE, 8,1, 1156a1-8. 35
- Aristotle : M.M. trans by: J. G. Stock, The Works of Aristotle, vol.9, 1208b28. 36
- Aristotle: NE, 9, 4, 1166a19-25. 37
- J. Annas: op Cit, p.p.540-542. 38
- W.F.R. Hardie: Aristotle's Ethical Theory, At the Clarendon press, Oxford, 1968, p. 324. 39
- A.W. Price: Love and friendship in Plato and Aristotle, Clarendon Press, Oxford, 1991, p. p.150-151. 40
- N. Sherman : Op Cit, p.216. 41
- Aristotle: NE. 8, 7, , 1159a5-12. 42
- Th. Gomprez: Op Cit, vol. 1V, p. 287. 43
- J. Annas: Aristotle on Friendship and self love" The Morality of Happiness, Oxford University press, New York, 1995, p. 250. 44
- N. Sherman: Making a Necessity of virtue, p.200 . 45
- Aristotle: NE, 8, 2, 1155b28-30 . 46
-Ibid, 8, 9, 1160a4-6. 47
- Ibid, 9,8, 1168b7, and MM, 2,11, 1211a31. 48
- D. Kahane: Diversity, Solidarity, and Civic Friendship, Forth-Coming, Journal of Political Philosophy, 1999, p. 5. 49
- Aristotle: EE, 7,2, 1237b17-18. And Vide: NE.8, 5, 1157b17-23. 50
- N. Sherman: "Aristotle on friendship and the shard life", Philosophy And Phenomenological Resrach,XLV11,No.4, June1987,p.597. 51
-N. Sherman: Making a Necessity of virtue, p.205. 52
- Aristotle : E.E. 7,6, 1241a15-20. 53
- A.W. Price: Op Cit, p.118. 54
- Aristotle: EE. 7, 12, 1245a13-37. 55
- N. Sherman: Aristotle on friendship, p.598. 56
- N. Sherman: Making a necessity of virtue, pp.298-299 57
- Aristotle: NE,8, 1, 1156a4. 58
- N. Sherman: Making a necessity of Virtue, p. 201. 59
- Ibid, p.205. 60
- Aristotle: EE, 7, 4, 1240a36-39. 61
- N. Sherman : Making a Necessity of Virtue, p. 206. 62
- أرسطو: علم الأخلاق إلي نيقوماخوس ج١، ٩، ٢، ص٢٥٥- ص٢٥٦ . 63
- د/ أسامه سعد أبو سريع : المرجع السابق ، ص ١٤. 64
- Aristotle: NE. 8,2, 1155b29-31. & EE. 7, 3, 1237b30-33. 65
- Aristotle: MM. 1, 22, 1194b11. 66
- N. Sherman: Making a necessity of Virtue, p. 201. 67
- N. Sherman:" Aristotle on Friendship",p.608-p.609.' 68
- N.K. Badhwar:" Friends as ends in themselves", Philosophy and Phenomenological Research, vol.68, No.1, Sept1987, p.1. 69
- M.J.Meyer: Rights between friends" The Journal of Philosophy, vol. 89,No.9, Sept.1992, p.476. 70
- Aristotle: EE. 8, 3, 1262b16, & MM.1,3,1213a13-24. 71
- N.K. Badhwar: Op Cit, p. 3. 72
- A.W. Price: Op Cit, p. 103. 73

- Aristotle: NE, 8, 3, 1156b7-11.
- Ibid, 8, 4, 1157a15-17.
- A. W. Price: Op Cit, p.105.
- M. P. Gianos: Op Cit, p. 136.
- Aristotle: NE, 8,5, 1157b30-35. & EE.7,8.1237b23-24.
- Ibid, 8,2, 1155b26-30.
-Ibid, 9,5, 1166b30-35, & EE, 7,6, 1241a1-15.
- J.M. Cooper: "Aristotle on the Forms of Friendship", p. 625.
- J.Annas: "Plato and Aristotle on Friendship", p. 534.
- Aristotle: NE, 9,5, 1167a1-15.
- Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 1V, p. 292.
- Aristotle: NE, 9,6, 1167a21-25.
- هنري سدجويك : المجمل في تاريخ علم الخلاق، ترجمة / د. توفيق الطويل ، ج١، دار نشر الثقافة، الإسكندرية ، ١٤٩ ، ص ١٤٨.
- W.C.K. Guthrie: Op Cit, Vol. V1, p. 387.
- Aristotle: NE, 9,6, 1167b19-17. & EE, 7,5, 1239b10-15.
- Plato: Lysis, trans by: B. Jowett, the Dialogues of Plato, Vol.1, Random House New York, 1937, 214c-d, p.43.
- Aristotle: NE, 9,4, 1166b25-30.
- Aristotle: EE, 7,3, 1239b9-14.
- J. Cooper: "Aristotle on the Forms of Friendship" p.621.
- Aristotle: EE, 7,2, 1236b3.
- A.W. Price : Op Cit, p. 124.
- Ibid , 130.
-Ibid, 8,6, 1158a10-17. & 9,10, 1170b20-30.
- Th. Gomprez: Op Cit, Vol.1V, p.295.
- N. Sherman : Aristotle on friendship, p. 602.
- Aristotle: EE, 7,2, 1262b16.
-Aristotle: NE, 9,10, 1170b23-30.
- Ch.H. Kahn: "Aristotle and Altruism", Mind, 1981, Vol. XC, p.20.
- N. Sherman: Making a necessity .., p. 217. &J.Annas:"Aristotle..,pp.252-253
- N. Sherman: Aristotle on Friendship, p.593.
- Th. Gomprez : Op Cit, Vol.1V, pp.284-285.
- Aristotle: NE, 9,3, 1165a35-b30.
- Ibid, 9,3, 1165b30-35.
- E.Zeller: Aristotle and The Earlier Peripatetics, trans by: B.F.C. Costello & J.H Muirhead, Vol.2, Longmans, Green and co., London,1897,p.199.
- Aristotle: NE. 9,11, 1171b15-21.
- Ibid, 9,11, 1171a20-b10.
- E.Zeller: Op Cit, Vol.2, p.201.
- Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 1V, p. 295.
- A. W. Price : Op Cit, pp. 110- 111.
- P. J. Wadell: Op Cit, p. 47.
- J. Annas: " Plato and Aristotle ...", p. 549.
- C. Ray : Friendship in Aristotle's N. Ethics , http://enlightenment.supersaturated.com/essays/text/carolynray/aristfriend.html
- N. Sherman :Aristotle on Friendship ..., p.602.
- Aristotle : E.E. 7,5, 1239b15-20.

- D. Kahane: Op Cit, , p.4. 118
- Ibid, p.6. 119
- مقدمة ترجمة بارتلمي سانتهلليز للأخلاق النيقوماخية : ص ٩٥. 120
- أرسطو : الأخلاق النيقوماخية ، الترجمة العربية ، ص ٢٣٦ . 121
- د/ أسامة سعد أبو سريع : المرجع السابق ، ص ١٦. 122
- A. M. Dziob: Aristotelian Friendship: Self-Love and Moral Rivalry, The Review Of Metaphysics, Vol.46, June 1993, No.4,pp.789-780. 123
- Aristotle : EE. 7, 10, 1243a11-13. 124
- J. Annas : Plato and Aristotle on Friendship , p.540. 125
- A.W. Price: Op Cit, pp. 108-109. 126
- Julia Annas : Plato and Aristotle on Friendship, p.553. 127
- Ibid, p.554. 128
- Ibid, 542. 129
- Aristotle: NE. V111, 1, 1155a15-20. 130
- Ibid, V111, 1, 1155a5-6. 131
- Ibid, 1X, 9, 1170 a 5-6. 132
- Aristotle: The Politics, trans by: B. Jowett, The Works of Aristotle,vol.10, Oxford, At The Clarendon press, London,1946., 1,9, 1280b35-9. 133
- L. S. Pangle : Op Cit, p. 16. 134
- E. Zeller: Aristotle, Vol. 2, p. 192. 135
- Ibid, p. 202. 136
- Ch. H. Kahn : Op Cit, p. 22. 137
- N. Sherman : Making a necessity of Virtue, p. 200. 138
- Aristotle : NE. V111, 5, 1157b 35-37. 139
- Ch. H. Kahn : Op Cit, p. 26. 140
- Ibid, pp. 22-24. 141
- N. Sherman : Aristotle on Friendship ..., p.608. 142
- A.M. Dziob: Op Cit, pp.781-782. 143
- D. Ross: Aristotle, pp. 230-231. 144
- D. J. Allan : The Philosophy of Aristotle, Oxford University press,London,1952 p.186. 145
- J. A. West : Self-Referential Altruism in Aristotle's Philosophy of Friendship **http://humanities.byu.edu/philosophy/aporia/volumes/vol112/westto.html** 146
- Aristotle: NE. V111, 7, 1159a11-12. 147
- Ch. H. Kahn: Op Cit, p.21. 148
- D. Ross: Op Cit, p. 232. 149
- Aristotle: NE. 1X, 8, 1168b28- 1169a10. 150
-Ibid,1X, 8, 1168b30-35. 151
- J. Annas: Aristotle on Friendship and self-love, p.258. 152
- Aristotle: NE. 1X, 8, 1169a 15- 27. 153
- W.F.R. Hardie : Aristotle's Ethical Theory, p. 328. 154
- J. Annas: Aristotle on Friendship, p. 254. 155
- E. Zeller: Op Cit, vol. 2, pp. 199-200. 156
- N. Sherman: Aristotle on Friendship and the shared life , p.597. 157
- D. J. Allan: The Philosophy of Aristotle, p.187. 158
- D. Ross: Op Cit, pp. 230-231. 159
- Ch. Rowe: An introduction to Greek Ethics, Hutchinson of London, 1976,p.123. 160
- Ch. H. Kahn: Aristotle and Altruism, p.21. 161

-A.E. Taylor: Plato the Man and his Work, Methuen & Co. ltd,London,1969,p.65. 162
- J. Annas: "Aristotle on the friendship ...", p.253. 163
J. Annas: Plato and Aristotle, p.543. 164
- W.F.R. Hardie: Op Cit, p.334. 165
- J.A. West: Op Cit, 166
http://humanities.byu.edu/philosophy/aporia/volumes/vol112/westto.html 167
- Ibid, 168
- M. P. Gianos: Aristotle, p. 137. 169
- Ch. H. Kahn: Op Cit, p. 39. 170
- Pangle: Op Cit, p.182. 171
- J. Annas: Aristotle on ... , pp. 254-255. 172
- Aristotle: EE. 7, 6, 1240a7-35. 173
- Aristotle: MM. 2, 11, 1211a33-38. 174
- A.M. Dziob: Aristotelian Friendship, p.783. 175
- Aristotle: NE. 1X, 8, 1169a12-13. 176
- C. Ray: Op Cit,
http://enlightenment.supersaturated.com/essays/text/carolynray/aristfriend.html 177
- Ch. H. Kahn: Aristotle and Altruism, p.27. 178
- Th. Gomprez: Op cit, Vol. 1V, p.294. 179
- J. Annas: Aristotle.... , p. 258. 180
- Th. Gomprez: Op Cit, Vol.1V, p. 293. 181
- J. Annas: "Plato and Aristotle on Friendship", p.540. 182
- Ibid, p.540, N1. 183
- J. Annas: Aristotle on friendship , p. 259. 184
- W. F. R. Hardie: Op Cit, p. 333. 185
- Ibid, pp. 258-260. 186
- P. J. Wadell: Op cit, p. 50. 187
- Aristotle: NE. B.8, ch.1, 1155a1-5. 188
- Ibid, B.8, Ch.1, 1155a7-16. 189
- Aristotle: EE. B7, ch. 1, 1234b- 1235a. 190
- Ibid, B.7, ch12, 1245b18-19. 191
- د/ مصطفى النشار: فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة ، دار الثقافة ، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٢٨. 192
- W. D. Ross: Aristotle, p. 231. 193
- W. C. K. Guthrie: Op Cit, Vol. V1, p. 385. 194
- D. Foss: Know Well.., http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html 195
- J. M. Cooper: Friendship ... p. 310. 196
- l. s. Pangle: Op Cit, p. 16. 197
- N. D. March: Aristotle's Account of Friendship,
http://www.geocities.com/natestar/paper-phil313-01.htm 198
- J. Cooper: Aristotle on Friendship, p.330. 199
- D. Foss: Know well, http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html 200
- N. Sherman: Making a necessity of Virtue, p.209. 201
- L. S. Pangle: Op Cit, p. 17. 202
- Aristotle: NE. B.8, ch.3, 1156a6-b24. & EE. B.7, Ch.2, 1237b1-6. 203
- Ibid. B.8, ch.4, 1157a25-35. 204
- Ibid, B.8, Ch.4, 1157b1-5. 205
- Ibid, B.8, Ch.6, 1158a15-18. 206
- P. J. Wadell: Friendship and the Moral life, p. 612.

- Aristotle: EE. B. 7, Ch.2, 1236a16ff. 207
- Aristotle: NE, B.8, Ch.3, 1155b15-22. 208
- J. Annas: "Plato and Aristotle on Friendship" , pp.546-547. 209
- Aristotle: EE, B.V11, ch.2, 1236a18ff. 210
- J. Annas: Plato and Aristotle on Friendship, p. 549. 211
- Aristotle: EE.B.7, Ch.2, 1236a14-18. 212
- A. W. Price: Love and Friendship in Plato and Aristotle, p.132. 213
- R. Kraut: Aristotle's Ethics, Stanford Encyclopedia of Philosophy., http://plato.stanford.edu/entries/aristotle-ethics/#9 214
- Aristotle: EE. B.7, Ch.2, 1236b. 215
-Ibid. B7, Ch.2, 1236a. 216
- Aristotle: NE. B.8, Ch.3, 1156a10-17. 217
- R. Kraut: Aristotle's Ethics..., http://plato.stanford.edu/entries/aristotle-ethics/#9 218
- J. M. Cooper: Aristotle on the Forms of Friendship, p.630, N.12. 219
- Aristotle: NE. B.8, Ch.8, 1159b10-15. 220
- Ibid. B.8, Ch.3, 1156a20-30. 221
- Ibid, B.8, Ch.4, 1157a5-16. 222
- K. D. Alpern: "Aristotle on the Friendships of Utility and Pleasure", Journal of The History of Philosophy, Vol.21N3, 1983, p.62. 223
- J. Schonsheck: Business Friendship 224
http://web.sau.edu/RichardsRandyL/business_ethics_filing_cabinet_on_business_friends_Aristotle_Kant_Others.htm
- J. Cooper: Aristotle on the Forms of Friendship, p.625. 225
- Aristotle: NE. B.9, Ch.1, 1164a10-12. 226
- Ibid, B.8, Ch.4, 1157a14-16. 227
- J. Schonsheck: Business friends : Aristotle , Kant and other management theorists on the practice of networking, 228
http://web.sau.edu/RichardsRandyL/business_ethics_filing_cabinet_on_business_friends_Aristotle_Kant_Others.htm
- Scott Fitz Gibbon : Marriage as domestic friendship, http://www.boylor.edu/christianethics/Marriage.pdf 229
- D.J. Allan: Op Cit, p.138, & W.F.R. Hardie: Op Cit, p.328. أنظر: 230
- J. M. Cooper: Aristotle on the Forms of Friendship, p.628. 231
- Ibid, p.628. 232
- Aristotle: NE. B.8, Ch.2, 1156a3-5. 233
- J.M. Cooper: Op Cit, p.632. 234
- K. D. Alpern: Op Cit, p.306. 235
- N. Sherman: Making a necessity of Virtue, pp.203-204. 236
- P. J. Wadell: Friendship and the Moral life, p.56. 237
- K. D. Alpern: Op Cit, pp. 303-304. 238
- Ibid, p.307, N.17. 239
- Aristotle: EE. B.7, Ch.2, 1236b. 240
- Ibid. 241
- Aristotle: NE. B.8, Ch.3, 1157a15-20. 242
- Aristotle: EE. B.7, Ch.2, 1238a35. 243
- J. Schonsheck, Business Friendship 244
http://web.sau.edu/RichardsRandyL/business_ethics_filing_cabinet_on_business_friends_Aristotle_Kant_Others.htm

245 - Ibid,
246 - Aristotle: B. 8, Ch.3, 1158a18-20.
247 - L. S. Pangle: Op Cit, p.46.
248 - Aristotle: NE. B.8, Ch.6, 1158a20-25.
249 - Scott Fitz Gibbon: Op Cit, http://www.boylor.edu/christianethics/Marriage.pdf.
250 - Aristotle: NE. B. 8, Ch.13, 1162b1-5.
251 - Scott Fitz Gibbon :Op Cit, http://www.boylor.edu/christianethics/Marriage.pdf
252 - Aristotle: EE. B. 7, Ch. 5, 1239b20.
253 - د/ اسامة سعد أبو سريع: الصداقة من منظور علم النفس، ص ١٧.
254 - Aristotle: NE. B.8, Ch. 13, 1162b5-15.
255 - Ibid, B.9, Ch.1, 1164a32-37.
256 - Aristotle on Friendship , Philosophy 205
http://www.homestead.com/philosophy_of_society/files/Aristotle2.ht
257 - Th. Gomprez: Greek Thinkers, Vol. 1V, p.289.
258 - Aristotle: NE. B. 8, Ch.8, 1159b21-23.
259 - Ibid, B. 8, Ch.14, 1163b1-10.
260 - Ibid. B.9, Ch.2, 1166a11-21.
261 - J. M. Cooper: Aristotle on the Forms of Friendship, p.646.
262 -Ibid, p.647.
263 - Ibid, p.648.
264 - Aristotle: NE. B. 8, Ch14, 1162b26.
265 - K. D. Alpern: " Aristotle on the Friendship of Utility and Pleasure', p.312.
266 - Aristotle: NE. B.8, Ch.13, 1162b25-30.
267 - Ibid, B.8, Ch.14, 1162b31-33.
268 - K. D. Alpern: Op Cit, p.313.
269 - D. Kahane : Op Cit, p.6.
270 - Ibid, p.7.
271 - N. Sherman: Making a necessity..., p.200, N.28.
272 - Aristotle: NE.B.8, Ch.7, 1159a1-7.
273 - Ibid, B.8, Ch.12, 1161b11-30.
274 - N. Sherman: Making a necessity of virtue, p.605.
275 - Aristotle: EE. B.7, Ch.10, 1242a28-40.
276 - J. A. West: Self referential altruism in Aristotle's Philosophy of Friendship
http.//humanities.byu.edu/philosophy/aporia/volumes/vol112/westto.html
277 -Aristotle: NE. B.8, Ch.12, 1161b18.
278 - Ch. H. Kahn: Aristotle and Altruism, p.22.
279 - Aristotle: EE.B.7, Ch.8, 1241b5, & NE. B.8, Ch.12, 1162a22.
280 - Aristotle: NE. B.9, Ch.2, 1164b27-1165a2-
281 - Aristotle: NE. B.8, Ch.12, 1162a5-10.
282 - Ibid, B.8, Ch.12, 1161b30-1162a3.
283 - G. Meilaender, Men and Women can be Friends??
http://www.leaderu.com/ftissues/ft9306/articles/meilaend.html
284 - J. M. Cooper: Aristotle on the forms of Friendship, p.628.
285 - Aristotle: NE. B.8, Ch.12, 1262a15-23.
286 - Ibid, B.8, Ch.12, 1162a25-27.
287 -Ibid. B.8, Ch.13, 1161b5-8, & Politics, B.11, Ch.4,1255b12-14.
288 - Aristotle: Politics, B.111, Ch.6, 1278b32-37.
289 - K. H. Johansen: A History of ancient Philosophy, p.387.

- Aristotle: NE. B.8, Ch.7, 1158b30-35. 290
- Ibid, B.8, Ch.14, 1163b11-15. 291
- L. S. Pangle: Op Cit, p.58. 292
- Ch. Rowe: An introduction to Greek Ethics, p.122. 293
- Aristotle: NE. B.8, Ch.10, 1165b22-1161a5. 294
- Aristotle: NE. B. 8, Ch. 7, 1159b25-31. 295
- Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 1V, p. 287. 296
- Ibid, p. 288. 297
- J. M. Cooper: Aristotle on the forms of Friendship, p. 636. 298
- J. M. Cooper: Op Cit,p.639. 299
- Aristotle: NE. B.1X, Ch.2, 1164b22-1165a5. 300
- Ibid, B.1X, Ch. 2, 1165a5-10. 301
- Ibid. B. 8, Ch.3, 1156b7-8. 302
- Ibid, B. 8, Ch. 3, 1157a20. 303
- Ibid, B. 8, Ch. 3, 1156b7. 304
- Ibid, B.8, Ch.3, 1156b5-14. &B. 8, Ch.5, 1157b25-29. 305
- Ibid, B.9, Ch.6, 1167b5-10. 306
- Aristotle: EE. B. 7, Ch. 4, 1237a3ff. 307
- Aristotle: NE. B.5, Ch.3, 1156b15-19. 308
- Aristotle: EE. B.7, Ch.4, 1236b39-1237a2. 309
- J. M. Cooper: Aristotle on the forms of Friendship, p.624. 310
- Aristotle: EE. B. 7, Ch. 4, 1237b 311
- J. M. Cooper: Op Cit, p.636. 312
- Aristotle: NE. B.8, Ch.3, 1156b20-23. 313
- P. J. Wadell: Friendship and the Moral Life, p.52. 314
- Aristotle: EE. B.7, Ch. 4, 1236b 315
- Ch. Rowe: Op Cit, p.121. 316
- J. Annas:" Plato and Aristotle on Friendship," p.547. 317
- Aristotle: NE. B.8, Ch.7, 1157b28. 318
- Ibid, B.9, Ch.10, 1171a1-10. & Cf. EE. B.7, Ch. 4, 1137b-1238a. 319
- E. Zeller: Op Cit, Vol.11, p.194. 320
- Aristotle: EE. B. 7, Ch. 3, 1237b25-30. & NE. B.8, Ch.3, 1156b25-30. 321
- Aristotle: NE.B.8, Ch.4, 1157a20-25. 322
- J. A. West: Self 323
http://humanities.byu.edu/philosophy/aporia/volumes/vol112/westto.html
- J. M. Cooper: Aristotle on the forms of Friendship, p.640. 324
- P. J. Wadell: Op Cit, p.53. 325
- N. K. Badhwar: Friends as ends in themselves, p.1. 326
- Aristotle: EE. B. 7, Ch. 4, 1137a-1137b. 327
- Th. Gomprez: Op Cit, Vol.1V, p.287. 328
- Aristotle: NE, B.8, Ch.6, 1158b1-5. 329
- N. Sherman: Making a necessity of virtue, p.207. 330
- A. M. Dziob: Aristotelian Friendship, p.795, 331
- Aristotle: NE. B. 1X, Ch.4, 1169a6-9. 332
- Aristotle: NE. B.8, Ch.6, 1158a1-8. 333
- D. Kahane : Diversity, Solidarity ...., p.5, N.10. 334
- J. M. Cooper: "Aristotle on Friendship," pp. 304-305. 335
- P J. Wadell: Op Cit, pp.54-55. 336

337 - J. M. Cooper: Aristotle on the forms of Friendship, p.627.
338 - J. Annas: Plato and Aristotle on Friendship, p.548.
339 - Ibid.
340 - Aristotle: NE. B.8, Ch.13, 1162b30-37.
341 - Aristotle on Friendship , Philosophy 205.
http://www.homestead.com/philosophy_of_society/files/Aristotle2.ht
342 - P. J. Wadell: Op Cit, p.57.
343 - Aristotle: NE. B.8, Ch.8, 1159a32-36.
344 - Aristotle: EE. B.7, Ch. 8, 1245a30, & NE, B. 9, Ch. 3, 1170b7.
345 - L. S. Pangle: Op Cit, p.167.
346 - W. O. Stephens: If Friendship Hurts, an Epicurean deserts, A reply to A. Mitchell, Essays in Philosophy , Vol.3, No.1 :
http://www.humboldt.edu/~essays/reply1.html
347 - W. F. R. Hardie: Op Cit, pp.322-323.
348 - A.W. Price: Love and Friendship in Plato and Aristotle, p.130.
349 - W. Jaeger: Aristotle, trans by: R. Robinson, 2nd ed, at the Clarendon Press, Oxford, 1948,p.244.
350 - J. M. Cooper: Aristotle on the Forms of Friendship, p.645.
351 - J. Annas: Plato and Aristotle on Friendship, p.550.
352 - Ch. Rowe: Op Cit, p.122.
353 - ورد هذا التعريف في مطلع معالجته للصداقة أنظر :
- Aristotle: NE. B8, Ch. 1, 1156a8-10.
354 - A. W. Price: Love and Friendship in Plato and Aristotle, p.148.
355 - N. Sherman: Making ...., p. 209.
356 -Aristotle on Friendship, Philosophy 205.
http://www.homestead.com/philosophy_of_society/files/Aristotle2.ht
357 - P. J. Wadell: Friendship and The Moral life, p. 49.
358 - Aristotle: EE. B.7, ch1, 1234b. & NE.B.8, Ch.11,1159b25-26.
359 - N. D. March: Aristotle's account of friendship,
http://www.geocities.com/natestar/paper-phil313-01.htm
360 - J. Annas: Plato and Aristotle on Friendship, p.552.
361 - Aristotle: EE.B.7, Ch.1, 1235a3-4.
362 - L. S. Pangle: Op Cit, p. 7.
363 - J. M. Cooper: Op Cit, p. 646.
364 - Aristotle: B.8, ch.1, 1155a23-27. & Top, B.3, ch.1, 117a1-4.
365 - J. Adler: Aristotle for Everybody, Macmillan Publishing Company, New York, 1978, p.109.
366 - L. S. Pangle : Op Cit, p. 17.
367 - Aristotle: Pol. B.2, ch.4, 1262b7-9.
368 - Aristotle: EE. B.7, Ch.10, 1242a20-27.
369 - J. M. Cooper: Aristotle on the Forms of Friendship, p.647.
370 - D. J. Allan: The Philosophy of Aristotle, p. 187.
371 - P. J. Wadell: Op Cit, p. 47.
372 - Ibid, pp. 49-50.
373 - J. M. Cooper: Friendship and the Good in Aristotle, p.291.
374 - Plato: Lysis, trns by: B. Jowett, The Dialogues of Plato, vol.1, 215a, p.43.
375 - J. Annas: Plato and Aristotle on Friendship, p.550.
376 - Aristotle: NE. B.9, Ch.9, 1169b28- 1170a4.

- Ibid, 1170a13- b17. 377
- J. M. Cooper: Friendship ..., p. 297. 378
- Ch. H. Kahn: Aristotle ....., p. 35. 379
- J. M. Cooper: Friends ..., p. 293. 380
- D. Kahane: op cit, p.5. 381
- D. Foss: Know well.., http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html 382
- J. Cooper: Aristotle...., p.322. 383
- Aristotle: NE. B9, Ch.7, 1167b31-1168a9. 384
- Ch. H. Kahn: Aristotle and Altruism, p.33. 385
- Aristotle: EE. B.7, Ch.12, 1245a35-6. 386
- مثل: J. Cooper: Op Cit, p.294, N6, & J. Annas: Op Cit, p.542, & Ch. H. Kahn: Aristotle, p.34. 387

وإن كان "هاردي" قد اكد على العكس أن المرء لن يمكنه على الاطلاق أيا ما كان يمكن أن تبلغه درجة إلتصاقه الحميم بالشخص الأخر أن يخبر أفكار وأفعال هذا الأخر كما يعرف ويعي أفكاره وأفعاله الشخصية أنظر: -

- W. F. R. Hardie: OP Cit, p.331.
- J. Annas: Aristotle, p. 251. 388
- N. Sherman: Making a necessity of virtue, p.206. 389
- Aristotle: NE. B.9, Ch.9, 1170a11-12. 390
- N. Sherman: Aristotle on Friendship, p.610. 391
- A.M. Dziob: Op Cit, p.783. 392
- Aristotle: MM. B.11, ch.15, 1213a10-26. 393
- Aristotle: Politics, B.3, Ch.9, 1280a15-16. 394
- N. Sherman: OP Cit, pp.611-612. 395
- J. Annas: Aristotle on Friendship and self love, pp.251-252. 396
- N. Sherman: Making ..., p.207. 397
- Aristotle: Rhetoric, B.2, Ch.4, 1381b28-31. 398
- J. Annas: Aristotle on ...., p.252. 399
- Aristotle: NE. B.2, ch.4, 1099b27. 400
- J. Cooper: Op Cit, p.133. and vide: P. J. Wadell: Op Cit, p.173, N32. 401
- Aristotle: NE. B.2, Ch.4, 1099a33-34. 402
- N. Sherman: Making ..., p.208. 403
- Aristotle: NE. B.9, Ch.9, 1169b10. & EE. B.7, Ch.1, 1234b33. 404
- J. Cooper: Op Cit, p.333. 405
- A. M. Dziob: Op Cit, p.785. 406
- D. Foss: Know Well..., http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html 407
- J. M. Cooper: Friendship and the Good ,p.314. 408
- Ibid, p.329, & P. J. Wadell: Op Cit, p.59. 409
- Aristotle: NE.B.9, Ch.9, 1170a4-11. 410
- Ch. Rowe: An introduction to Greek Ethics, p.125. 411
- J. Cooper: Friendship..., p.303. 412
- Ibid, p.308. 413
- J. Annas: Aristotle ...., p.258. 414
- A. M. Dziob: Aristotelian Friendship, p.791. 415
- Aristotle: Rhetoric, B.1, Ch.11, 1370b32-1371a1. 416
- Aristotle: NE. B.2, Ch.4, 1099a3-5. 417
- J. Annas: Aristotle ..., p.256. 418
- Ibid, p.799. 419
- Aristotle: NE. B.9, ch.12, 1172a11-13. 420

421 - Aristotle: NE. B.8, ch.8, 1159b2-5.
422 - A. M. Dziob: Op Cit, p.796.
423 - Aristotle: NE. B.9, Ch.12, 1172a12-14.
424 - A. M. Dziob: Op Cit, pp.797-798.
425 -Aristotle: NE., B.9, Ch.9, 1170a5-7.
426 - Ibid.B.8, Ch.12, 1162b6-10.
427 - P. J. Wadell: Op Cit, p.66.
428 - N. Sherman: Op Cit, p.593.
429 - C. H. Kahn: Aristotle and Altruism, p.34.
430 - J. M. Cooper: Friendship and the Good..., p.294.
431 - Ibid, p.297.
432 - Ch. H. Kahn: Op Cit, p.39.
433 - W. F. Hardie: Aristotle's Ethical Theory, p.331.
434 - A. Mitchell: Friendship amongst the self sufficient Epicurus, http://www.humboldt.edu/~essays/mitchell.html
435 - D. Foss: Op Cit, http://www.shlobin-foss.net/papers/friend.html
436 - Aristotle: NE. B2, ch.4, 1099b2-7.
437 - N. Sherman: Aristotle's on Friendship, p.594.
438 - Aristotle: NE. B.2, Ch.4, 1099a31-b4.
439 - P. J. Wadell: Op Cit, p.64.
440 - Aristotle: NE. B.9, ch.9, 1170a2.
441 - Ibid, B.9, Ch.9, 1169a10-17.
442 - E. Zeller: Aristotle and The earlier Peripatetics, Vol.2, p.200.
443 - N. Sherman: Aristotle on Friendship, pp.594-595.
444 - Aristotle's NE. by: G. L. Ziniewicz http://www.fred.net/tzaka/aristot2.htm
445 - N. Sherman: Making a necessity of Virtue, p.210.
446 - N. Sherman: Op Cit, p.601.
447 - Aristotle: Rhetoric, B.11, Ch.7, 1385a18.
448 - N. Sherman: Op Cit, p.602.
449 - Th. Gomprez: Greek Thinkers, Vol.1V, p.292.
450 - Aristotle: NE. B.9, ch.7, 1167b15-1168a17.
451 - C. Ray: Friendship in Aristotle's Nicomachean Ethics. http://enlightenment.supersaturated.com/essays/text/carolynray/aristfriend.html
452 - J. M. Cooper: Friendship and the Good.., p.311.
453 - R. Kraut: Aristotle's Ethics http://plato.stanford.edu/entries/aristotle-ethics/#9
454 - N. Sherman: Aristotle on Friendship, p.596.
455 - Aristotle: EE.B.7, ch.11, 1244, b18-22.
456 - p. J. Wadell: Op cit, pp.63-64.
457 - J. Adler: Op Cit, p.113.
458 - Aristotle: NE. B.9, Ch.8, 1169a32-34.
459 - J. Adler: Op Cit, p.116.
460 - Aristotle: NE. B.9, Ch.6, 1167b5-12.
461 - Ibid. B.9, Ch.9, 1169b18-20.
462 - D. Thunder: Friendship in Aristotle's NE, an essential component of the Good life http://www.nd.edu/~dthunder/Articles/Article4.html
463 - Aristotle: B.9, Ch.9, 1170a4-13.
464 - N. Sherman: Making a necessity of Virtue, p.213.

465 - Ibid, p.214.
466 - P. J. Wadell: Op Cit, p.65.
467 - Ch. H. Kahn: Aristotle and Altruism, p.30
468 - L. S. Pangle: Op Cit, p.38.
469 - A. W. Price: Op Cit, p.124.
470 - N. Sherman: Aristotle on Friendship, p.599.
471 - Aristotle: NE.B9, Ch.10, 1171a6ff.
472 - Aristotle: EE.B.7, Ch.6, 1240a36-9.
473 - N. Sherman: Aristotle on Friendship, p.600.
474 - Aristotle: EE. B.7, Ch.12, 1245b18-19.
475 - Aristotle: NE. B.2, Ch.4, 1097b9-11.
476 - N. Sherman: Aristotle on Friendship, p.596.
477 - L. S. Pangle: Op Cit, p.7.
478 - M. P. Gianos: Aristotle, p.137.
479 - L. S. Pangle: Op Cit, p.7.
480 ـ د/ اسامة سعد أبو سريع: المرجع السابق، ص ٢٠.